كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

التصوير بالإبل وهيئاتها وأحوالها في القرآن الكريم

إعداد

د/ الحسن عبد اللطيف محمد اللاوي

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا

(العدد الخامس والثلاثون الجزء الثالث ٢٠١٦م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وجعله معجزة باقية خالدة، يتجدد عطاؤه على مَرِّ الزمان، وصلِّ اللهمَّ على سيدنا محمد صاحب الأنوار الظاهرة والأسرار المبهرة، وعلى آله هداة الأنام، وأصحابه مصابيح الظلام، وجميع من شهد بشهادة الإسلام.

وبعد ،،،

كانت الإبل عند نزول القرآن الكريم من مقومات حياة العرب، كانت معهم في ظعنهم وإقامتهم، عرفوا جميع أطوارها وأحوالها، حدوا لها وشدوا، فاضت بحديثهم عنها أشعارهم.

وقد نزل القرآن الكريم بلسان العرب، وكانوا أول من خوطب به، فلا غرو أن تكون الإبل وهيئاتها وأحوالها مصدرا من مصادر التصوير فيه.

ليست الغاية من هذا البحث الوقوف عند كل ما جاء عن الإبل في القرآن الكريم، وإنما الهدف هو الوقوف عند الإبل وهيئاتها وأحوالها عندما تكون مصدرا من مصادر الصورة في القرآن الكريم، أي: عندما تكون الإبل مُصَوَّرا بها أو بهيئة من هيئاتها أو حال من أحوالها.

يحاول هذا البحث أن يقف عند هذا الجانب من جوانب التصوير القرآني، وهو التصوير بالإبل وهيئاتها وأحوالها استكشافا لملامح الجمال في تلك الصور، وتعرُّفا من قرب على مصدر مهم من مصادر الصورة في القرآن الكريم.

يحاول هذا البحث قدر ما يستطيع جمع الصور القرآنية التي اتخذت من الإبل وهيئاتها وأحوالها مصدرا لها، وكانت الإبل –في كثير من هذه الصور– مصدرا

وحيدا للتصوير، بينما لم تكن كذلك في بعض الصور، بل جاء معها مصدر آخر، بسبب تعدد معاني الألفاظ التي قامت عليها تلك الصور.

ولا تدخل في إطار هذا البحث الصور التي جاء مصدرها شاملا لجميع الأنعام أو الدواب أو الحيوانات الأخرى –على الرغم من دخول الإبل في أجناسها– ليكون هذا البحث قاصرا على الإبل وهيئاتها وأحوالها فقط كما يفضي بذلك عنوانه.

وقف البحث عند كل صورة وردت فيه مع معني اللفظ موطن الشاهد في بطون كتب اللغة، ليظهر من خلال معناه كيف اتخذت تلك الصورة من الإبل وهيئاتها وأحوالها مصدرا لها، ثم أعقب ذلك بذكر أبرز أقوال العلماء من القدامى والمحدثين التي تمسُّ تلك الصورة، مع التعليق والمناقشة عند الحاجة، والترجيح المعضد بالدليل عند وجود الخلاف.

عند عدم وجود داع منهجي يقوم عليه ترتيب الصور في كل فصل من فصول هذا البحث كان ترتيبها في المصحف هو المتبع.

وقد رُوعِيَ في كل ذلك ضبطُ النصوص من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية الواردة في هذا البحث، مع ذكر رقم الآية والسورة التي وردت فيها، وعزو كل نص إلى مصدره، مع وضع كل النصوص المقتبسة بين علامتي تنصيص، والإشارة في الهامش إلى جميع المصادر والمراجع التي تم الاقتباس منها ، مع الاكتفاء بذكر البيانات كاملة عند أول اقتباس.

واشتمل هذا البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

تناولت **المقدمة**: أسباب اختيار الموضوع، وأهم ملامح منهج دراسته، وخطة السير فيه.

وتناول **الفصل الأول**: التصوير بأجسام الإبل وهيئاتها في القرآن الكريم.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: التصوير بأجسام الإبل.

واشتمل على:

١- التصوير بجسم الجمل منفردا

٢- التصوير بأجسام الجمال مجتمعة

المبحث الثاني: التصوير بهيئات الإبل.

واشتمل على:

١- التصوير بهيئة الناقة الدكاء

٢- التصوير بهيئة قموح الإبل

٣- التصوير بهيئة الفاقرة التي تعمل في أنف البعير

٤- التصوير بهيئة الناقة إذا اقمَطَرتْ

وتناول **الفصل الثاني**: التصوير بأحوال سير الإبل في القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : التصوير بإيضاع الإبل.

المبحث الثاني: التصوير بإهطاع الإبل.

المبحث الثالث: التصوير بحسْر الإبل.

وتناول **الفصل الثالث**: التصوير بأمراض الإبل في القرآن الكريم.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : التصوير بداء الحَبَط.

المبحث الثاني: التصوير بداء الجَرَب.

المبحث الثالث: التصوير بداء الصَّعَر.

المبحث الرابع: التصوير بداء الهُيام.

وتناول **الفصل الرابع**: التصوير بأطوار حمل الإبل وعادات حلبها في القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التصوير بالإبل اللواقح.

المبحث الثاني: التصوير بالنوق العشار.

المبحث الثالث: التصوير بفواق الناقة.

وتناولت **الخاتمة**: بيان أبرز النتائج التي توصل إليها هذا البحث.

مع فهرس للمصادر والمراجع التي أفاد منها هذا البحث، وفهرس للموضوعات.

والله -سبحانه وتعالى- أسأل، وبنبيِّه ﷺ أتوسَّل، أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجنِّبنا بفضله الزَّلَل، وأن يُحْسِن ختامَنا عند حضور الأجل.

الفصل الأول

التصوير بأجسام الإبل وهيئاتها في القرآن الكريم

عرف العرب قوة الإبل وضخامة أجسامها، وأفادوا من ذلك، بل لم يعرفوا ولم يألفوا حيوانا أضخم منها جسما في جزيرتهم، ورصدوا هيئاتها في جميع أحوالها وأطوارها، ويقف هذا الفصل مع الصور القرآنية التي اتخذت من أجسام الإبل أو هيئاتها مصدرا لها، كاشفا عن أسباب اتخاذها مصدرا لها، مبينا عما أضفته على تلك الصور من الخصائص والسمات، من خلال المبحثين التاليين.

المبحث الأول

التصوير بأجسام الإبل

من أبرز ما يلفت انتباه الناظر إلى الجمل ضخامة جِسمه، وقد كانت ضخامة جسم الجمل مصدرا للتصوير في القرآن الكريم، وقد جاء التصوير تارة بجسم الجمل منفردا وتارة بأجسام الجمال مجتمعة، وفيما يلي بيان ذلك.

١- التصوير بجسم الجمل منفرداً

جاء التصوير بالجمل منفردا في قوله -تعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) [الأعراف : ٤٠]

"ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة التي أعدّها الله لأوليائه المؤمنين أبدًا، كما لا يلج الجمل في سمِّ الخياط أبدًا."(١)

(١) جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري (١٢/ ٤٢٧) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

"وَالْخِيَاطُ وَالْمَخِيطُ واحد ، وهو الْإِبْرَةُ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ: أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَبَدًا، لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا عُلِّقَ بِمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ دلّ ذَلِكَ عَلَى تَأْكِيدِ الْمَنْعِ، كَمَا يقال: لا أفعل ذلك حَتَّى يَشِيبَ الْغُرَابُ أَوْ يَبْيَضَّ الْقَارُ، يُرِيدُ: لَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا."(١)

"وسئل ابن مسعود ﷺ عن الجمل فقال: زوج الناقة، استجهالا للسائل، وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف."(٢)

"والجمل : مثَلٌ في عِظَم الجِرْم.(٣) قال: (جسم الجمال وأحلام

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي (٢/ ١٩١) محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان = تفسير النيسابوري (٣/ ٢٣٤) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٨٥٠هـ) تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ.

(٣) "والْجِرمُ أَلْواحُ الْجَسَد وجُثْمانُه." العين (٦/ ١١٨) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. بدون تاريخ. وتهذيب اللغة (١١/ ٤٥) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م. "والجِرم خلقته." الكنز اللغوي في اللَسَن العربي (ص: ١٦٢) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت (٢٤٤هـ) تحقيق: أوغست هفنر، مكتبة المتنبي – القاهرة، بدون تاريخ. "والْجِرْمُ: الْجَسَد." تهذيب اللغة (١١/ ٤٥) والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٨٨٥) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م. "وَقيل: الجِرم: الْجِسْم الْمَحْدُود، والجسم: هُوَ الطَّوِيل العريض العميق وَذَلِكَ أَنه إِذا زَاد فِي طوله وَعرضه وعمقه قيل إِنَّه جسم وأجسم من غَيره." الفروق اللغوية (ص: ١٥٨) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر. بدون تاريخ.

العصافير)."[1]

"أي: حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الإبرة، وذلك مما لا يكون، فكذا ما يتوقف عليه."[2]

"فان قال قائل: كيف خصّ الجمل من دون سائر الدواب، وفيها ما هو أعظم منه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن ضرب المثل بالجمل يحصّل المقصود، والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة، كما لا يدخل الجمل في ثقَب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصغر منه جاز، والناس يقولون: فلان لا يساوي درهماً، وهذا لا يغني عنك فتيلاً، وإن كنا نجد أقل من الدرهم والفتيل. والثاني: أن الجمل أكبر شأناً عند العرب من سائر الدواب، فإنهم يقدِّمونه في القوّة على غيره، لأنه يوقَر بحمله فينهض به دون غيره من الدواب، ولهذا عجَّبهم من خلق الإبل، فقال: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) [الغاشية : ١٧]، فآثر الله -تعالى- ذكرَه على غيره لهذا المعنى.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل = تفسير الزمخشري (٢/ ١٠٣-١٠٤) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ. وهذا القول عجز بيت من (البسيط) لحسان ابن ثابت صدره: (لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عظمٍ) ديوان حسان بن ثابت (ص: ١٢٩) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجى الأنصاري (٥٤ هـ) تحقيق: عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي (٣/ ١٣) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

(ذكر الجوابين ابن الأنباري)."[١]

"وَذَكَرَ سَمِّ الْخِياطِ لِأَنَّهُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي ضِيقِ الْمَسْلَكِ يُقَالُ: أَضْيَقُ مِنْ خَرْتِ الْإِبْرَةِ."[٢]

"مبالغةٌ في الاستبعاد."[٣]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١١٩) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ. وابن الأنباري هو الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي. ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، ومات في ليلة الأضحى ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة عن سبع وخمسين سنة. سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤– ٢٧٨) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

(٢) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٥١) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤٢٠ هـ. والمثل: (أَضْيَقُ مِنْ خَرْتِ الْإِبْرَةِ) في جمهرة الأمثال (٢/ ٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (٣٩٥هـ) دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ. والخَرْت: الثقب.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود (٣/ ٢٢٧) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

"أَيْ: لَوْ كَانَتْ لِانْتِفَاءِ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ غَايَةٌ لَكَانَتْ غَايَتُهُ وُلُوجَ الْجَمَلِ -وَهُوَ الْبَعِيرُ- فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَكُونُ أَبَدًا."(١)

"وَالْقُرْآنُ أَحَالَ عَلَى مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ حَقِيقَةِ الْجَمَلِ وَحَقِيقَةِ الْخِيَاطِ، لِيُعْلَمَ أَنَّ دُخُولَ الْجَمَلِ فِي خَرْتِ الْإِبْرَةِ مُحَالٌ مُتَعَذَّرٌ مَا دَامَا عَلَى حَالَيْهِمَا الْمُتَعَارَفَيْنِ."(٢)

"أي: لا يدخلون يوم القيامة الجنة حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة، وهذا تمثيل لاستحالة دخول الكفار الجنة كاستحالة دخول الجمل على ضخامته في ثقب الإبرة على دقته مبالغة في التصوير."(٣)

"فيه تشبيه ضمني أي: لا يدخلون الجنة بحالٍ من الأحوال إلا إذا أمكن دخول الجمل في ثقب الإبرة، وهو تمثيلٌ للاستحالة."(٤)

"معناه: قطع كل أمل لهم في دخول الجنة، بذلك الأسلوب المدهش، الذي يفتح باب الطمع أولا، ليقفله في وجوه الطامعين أخيرا، فتكون حسرتهم أعظم وخيبتهم أشد."(٥)

---

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد = التحرير والتنوير (٨-ب/ ١٢٧) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

(٢) التحرير والتنوير (٨-ب/ ١٢٨)

(٣) صفوة التفاسير (١/ ٤١٣) محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٤) صفوة التفاسير (١/ ٤١٦)

(٥) التيسير في أحاديث التفسير (٢/ ٢٤٤-٢٤٥) محمد المكي الناصري (١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

واتضح من هذا كيف أعان منظر الجمل بجسمه الضخم في تلك الصورة على تصور استحالة دخول الجنة على المكذبين بالآيات والمستكبرين عنها من خلال تمثُّل استحالة دخول الجمل ذلك الحيوان الذي اشتهرت ضخامته في ثقب الإبرة الذي اشتهر ضيقه.

٢- التصوير بأجسام الجمال مجتمعة

جاء التصوير بأجسام الجمال مجتمعة في قوله -تعالى- عن نار جهنم: (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ) [المرسلات : ٣٢-٣٣]

"وقرأ (كأنه جمالة صفر) بالتوحيد حمزة والكسائي وخلف وحفص، على أنه جمع جمل، والباقون (جمالات) بالجمع: أي جمع (جمالة) فيكون جمع الجمع."(١)

"(جِمالَة صُفْرٌ) وهي جمع جمل يقال: جُمُل وجِمَال وجِمَالة."(٢) "كَمَا يُقَالُ: حَجَرٌ وَحِجَارَةٌ."(٣)

(١) شرح طيبة النشر في القراءات (ص: ٣٢٥) شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (٨٣٣هـ) ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) بحر العلوم = تفسير السمرقندي (٣/ ٤٣٧) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٥هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ على محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور زكريا عبد المجيد النوبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٢٥) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

و "من قرأ (جِمَالاتٌ) بالكسر فهو جمع (جِمَال)، كما تقولك بُيُوت وبيوتات، وهو جمع الجمع."[١]

"وَهِيَ اسْمُ جَمْعِ طَائِفَةٍ مِنَ الْجِمَالِ، أَيْ تُشْبِهُ طَوَائِفَ مِنَ الْجِمَالِ مُتَوَزِّعَةً فِرَقًا."[٢]

"وفى جمع الجمل على (جمالات) إشارة إلى أنها من الجمال المتخيرة من بين الجمال ضخامة وامتلاء، مثل (رجالات) التي هي جمع لرجال ذوى صفات متميزة."[٣]

"شَبَّهَ الشَّرَرَ فِي الْعِظَمِ بِالْقَصْرِ، وَفِي اللَّوْنِ وَالْكَثْرَةِ وَالتَّتَابُعِ وَسُرْعَةِ الْحَرَكَةِ بِالْجِمَالَاتِ الصُّفْرِ."[٤]

"وَهَذَا تَشْبِيهٌ مُرَكَّبٌ لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ فِي هَيْئَةِ الْحَجْمِ مَعَ لَوْنِهِ مَعَ حَرَكَتِهِ."[٥]

"أَيْ: كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا كَالْقَصْرِ، فَيَكُونُ مِنْ باب قوله: (فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً) [النور : ٤]، أي كل واحد منهم، وَالْمُحْوِجُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّرَرُ كُلُّهُ كَقَصْرٍ وَاحِدٍ، وَالْقَصْرُ هُوَ الْبَيْتُ مِنْ أَدَمٍ كَانَ يُضْرَبُ على المال، ويؤيده قوله:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٦٨) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٣٧)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٥/ ١٤٠٤) عبد الكريم يونس الخطيب (١٤٢٩هـ) دار الفكر العربي – القاهرة، بدون تاريخ.

(٤) مفاتيح الغيب = تفسير الرازي (٣٠/ ٧٧٥) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠هـ.

(٥) التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٣٧)

(جمالت صفر) أَفَلَا تَرَاهُ كَيْفَ شَبَّهَهُ بِالْجَمَاعَةِ؟ أَيْ: كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الشَّرَرِ كَالْجَمَلِ لِجَمَاعَاتِهِ، فَجَمَاعَاتُهُ إِذَنْ مِثْلُ الْجِمَالَاتِ الصُّفْرِ، وَكَذَلِكَ الْأَوَّلُ شَرَرَةٌ مِنْهُ كَالْقَصْرِ. قَالَهُ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ جِنِّي."[1]

"أي: إن هذه النار يتطاير منها شرر متفرق في جهات كثيرة، كأنه القصر عظما وارتفاعا، وكأنه الجمال الصفر لونا وكثرة وتتابعا وسرعة حركة."[2]

"فهذا الشرر ينطلق بعضه إثر بعض في تتابع كأنه قطعان من الجمال الصفراء ينطلق بعضها إثر بعض."[3]

"وَقِيلَ -أَيْضًا-: إِنَّ ابْتِدَاءَ الشَّرَرِ يَعْظُمُ فَيَكُونُ كَالْقَصْرِ ثُمَّ يَفْتَرِقُ فَتَكُونُ تِلْكَ الْقِطَعُ الْمُتَفَرِّقَةُ الْمُتَتَابِعَةُ كَالْجِمَالَاتِ الصُّفْرِ."[4]

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/١٣٦-١٣٧) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م. ولعله يقصد بقوله: (قاله ابن جني) ما أورده ابن جني في كتاب الخصائص تحت باب: (في جمع الأشباه من حيث يغمض الاشتباه) إذ قال: "من أين يجمع قول الله -تعالى-: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً) مع قول الأعشى: حتى يقول الناس مما رأوا *** يا عجبا للميت الناشر؟ والتقاؤهما أن معناه: فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة، وكذلك قوله: حتى يقول الناس، أي: حتى يقول كل واحد من الناس: يا عجبا!." الخصائص (٣/ ٣٢٨) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

(٢) تفسير المراغي (٢٩/ ١٨٦) أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٥/ ١٤٠٤)

(٤) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٧٧٥)

"شَبَّهَ الشَّرَارَةَ أَوَّلًا: حِينَ تَنْفَصِلُ عَنِ النَّارِ بِالْقَصْرِ فِي الْعِظَمِ، وَثَانِيًا: حِينَ تَأْخُذُ فِي الِارْتِفَاعِ وَالِانْبِسَاطِ فَتَنْشَقُّ عَنْ أَعْدَادٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا بِالْجِمَالَاتِ فِي التَّفَرُّقِ وَاللَّوْنِ وَالْعِظَمِ وَالثِّقَلِ."(١)

"والصّفر: سود الإبل، لا ترى أسوَدَ من الإبل إلّا وهو مشرب بصفرة، فلذلك سمتِ العربُ سودَ الإبل: صفرا، كما سَمُّوا الظبَّاء: أُدْمًا لما يعلوها من الظلمة فِي بياضها."(٢)

"يدلك قول القائل(٣) عليه:

تلك خيلي منه وتلك ركابي(٤) ∴ هن صفر أولادها كالزبيب."(٥)

"فَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ: سُودٌ تَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرَةِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: (لَا تَرَى أَسْوَدَ مِنَ الْإِبِلِ إِلَّا وَهُوَ مَشُوبٌ صُفْرَةً)(٦) وَالشَّرَرُ إِذَا تَطَايَرَ فَسَقَطَ وَفِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ لَوْنِ النَّارِ

(١) حاشية الطيبي على الكشاف المسماة: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (١٦/٢٣٥) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) تحقيق: د. يوسف عبد الله الجوارنة، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم – دبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م.

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٢٥)

(٣) البيت للأعشى من (الخفيف) ديوان الأعشى الكبير(ص: ٣٣٥) ميمون بن قيس تحقيق: د. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، بدون تاريخ.

(٤) الرِّكابُ: الإِبلُ الَّتِي يُسار عَلَيْهَا، واحِدَتُها راحِلَةٌ، وَلَا واحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِها، وَجَمْعُهَا رُكُبٌ، بِضَمِّ الْكَافِ، مِثْلُ كُتُبٍ. لسان العرب (١/ ٤٣٠) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري (٧١١هـ) دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(٥) تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي (١٠/ ٣٨٥) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٦) تقدم هذا القول من قبل.

النَّارِ كَانَ أَشْبَهَ بِالْجَمَلِ الْأَسْوَدِ الَّذِي يَشُوبُهُ شَيْءٌ مِنَ الصُّفْرَةِ. وَزَعَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمُرَادَ: هُوَ الصُّفْرَةُ لَا السَّوَادُ، لِأَنَّ الشَّرَرَ إِنَّمَا يُسَمَّى شَرَرًا، مَا دَامَ يَكُونُ نَارًا، وَمَتَى كَانَ نَارًا كَانَ أَصْفَرَ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ أَسْوَدَ إِذَا انْطَفَأَ، وَهُنَاكَ لَا يُسَمَّى شَرَرًا."[1]

وإذا افترضنا عدم وجود الجمال ذات اللون الأصفر الخالص في الواقع فليس ثمة ما يمنع من أن يكون وصفها -بهذا اللون في هذه الصورة- لونا من التخييل الذي لا بُعد فيه ولا غرابة، تقريبا لها من لون الشرر.

"وَلَكِنْ إِذَا كَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي الْأَسْوَدَ أَصْفَرَ لَمْ يَبْقَ إِشْكَالٌ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ، وَقَدْ نَقَلَ الثِّقَاتُ عَنْهُمْ ذَلِكَ، فَكَانَ مَا فِي الْقُرْآنِ هُنَا وَارِدًا عَلَى هَذَا الِاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِيِّ."[2]

"ويدل عليه الحديث في صفة جهنم وفي آخره: (فهي سوداء مظلمة)"[3]

"والمقصود بهذا التشبيه: زيادة الترويع والتهويل، فإن هؤلاء الكافرين لما كذبوا بالحساب والجزاء، وصف الله-تعالى- لهم نار الآخرة بتلك الصفات المرعبة،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٧٧٥)

(٢) فتح القدير (٥/ ٤٣٤) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ١٩) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م. وتمام الحديث الذي رواه أَبو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ." سنن الترمذي (٤/ ٧١٠) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

لعلهم يقلعون عن شركهم، لا سيما وأنهم يرون النار في دنياهم، ويرون شررها حين يتطاير، وإن كان الفرق شاسعا بين نار الدنيا ونار الآخرة."[1]

ومما أعان على تصور مدى فظاعة هذه النار أن الشرر المتطاير منها –وهو أصغر ما يكون فيها– يشبه القصر عند بداية انفصاله عنها، ثم يبدأ في التشتت والتفرق فيكون كالجمال الصفراء المتفرقة المتناثرة في كل مكان.

المبحث الثاني

التصوير بهيئات الإبل

تعددت هيئات الإبل التي اتخذ القرآن الكريم منها مصدرا للتصوير، ومن هذه الهيئات هيئة الناقة الدكاء، وهي التي لا سنام لها، إذ أن سنامها مستو مع ظهرها، وهيئة قموح الإبل، وهي رفع رأسها إلى ظهرها امتناعا عن الشرب بسبب ارتوائها أو لعدم استطاعة شرب الماء لبرودته، وهيئة الفاقرة التي تعمل في أنف البعير، وهيئة الناقة إذا اقمَطَرتْ، ويراد بذلك هيئتها إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها[2] ورفعت رأسها لألم بها، وفيما يلي بيان ذلك تفصيلا.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٥/ ٢٤٠) محمد سيد طنطاوي (١٤٣١هـ) دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧/١٩٩٨م.

(٢) "ويقال: (جمع فلان قطريه) إذا تكبر متغضّباً، وأصله في الناقة إذا لقحت فزمّت برأسها وشالت بذنبها كبراً، فيقال: جمعت قطريها." أساس البلاغة (٢/ ٨٧) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

١- التصوير بهيئة الناقة الدكاء

من هيئات الإبل التي جاءت مصدرا للتصوير في القرآن الكريم هيئة الناقة الدكاء، وهي التي "لا سنام لها، واندكّ السنام: افترش على الظهر."(١)

"فإذا كانت الناقة مفترشا سنامها في جنبيها وليس بمشرف قيل ناقة دكاء، فإذا كانت مشرفة السنام فهي مسنمة وسنمة." (٢)

"واندك سَنَام الْبَعِير إِذا افترش فِي ظَهره، وَهُوَ أدك وَالْأُنْثَى دكاء."(٣)

"والجمع دُكٌّ. ودَكَّاواتٌ، مثل حمر وحمراوت."(٤)

قال –تعالى–: (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) [الأعراف : ١٤٣]

"(جَعَلَهُ دَكًّا) أي: مستويا مع وجه الأرض، وهو مصدر جعله صفة، ويقال: ناقة دكّاء أي ذاهبة السّنام مستو ظهرها أملس."(٥) "كَأَنَّ سنَامها دُكَّ –أي أُلْصِق–."(٦)

"وَاخْتلفُوا فى الْمَدّ وَالْقصر من قَوْله (دكا) فَقَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر (جعله دكا) منونة مَقْصُورَة هَهُنَا وفى الْكَهْف، وَقَرَأَ عَاصِم فى الْأَعْرَاف (دكا)

---

(١) أساس البلاغة (١/ ٢٩٣)

(٢) الكنز اللغوي في اللَّسَن العربي (ص: ٩٤)

(٣) جمهرة اللغة (١/ ١١٤) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٥٨٤)

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٢٨) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (٢٠٩هـ) تحيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، ١٣٨١ هـ.

(٦) غريب القرآن (ص: ١٧٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.

منونة، وَقَرَأَ في الْكَهْف (دكاء) ممدودة غير منونة، وَقَرَأَ حَمْزَة والكسائي (دكاء) في الْمَوْضِعَيْنِ ممدودة غير منونة."[١]

"ومن قرأ: دكاء، فمعناه: جعله مثل دكاء، فحذف المضاف، و(الدكاء): الناقة التي لا سنام لها."[٢]

"وهو في كلام العرب: (ناقَةٌ دَكّاءُ) أي: ليس لها سنام. والجبل مذكر إلا أن يكون (جَعَلَهُ مِثْلَ دَكّاءَ) وحذف (مِثْل). "[٣]

"وهذا على التشبيه بالناقة الدكاء وهي التي لا سنام لها، وفي الكلام حذف تقديره: جعله مثل دكاء."[٤]

"فالمعنى جعله أرضا دكاء تشبيها بالناقة."[٥]

---

(١) السبعة في القراءات (ص: ٢٩٣) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي المعروف بابن مجاهد (٣٢٤هـ) تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٤٠٦-٤٠٧) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٣) معانى القرآن للأخفش (١/ ٣٣٧) أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي المعروف بالأخفش الأوسط (٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز = تفسير ابن عطية (٣/ ٥٤٤) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت. بدون تاريخ.

(٥) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٥١)

"فَهُوَ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ أَيْ كَالدَّكَّاءِ أَيْ ذَهَبَتْ قُنَّتُهُ،(١) وَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي انْدَكَّ مِنْهُ لَمْ يَرْجِعْ وَلَعَلَّ آثَارَ ذَلِكَ الدَّكِّ ظَاهِرَةٌ فِيهِ إِلَى الْآنِ."(٢)

ومن التصوير بالناقة الدكاء –أيضا– ما جاء في قوله –تعالى– على لسان ذي القرنين عن سد يأجوج ومأجوج: (فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً) [الكهف : ٩٨]

"(جَعَلَهُ دَكَّاءَ) أي تركه مدكوكا أي: ألزقه بالأرض، ويقال: ناقة دكّاء أي لا سنام لها مستوية الظهر."(٣)

"سواه بالأرض، فألزقه بها، من قولهم: ناقة دكاء: مستوية الظهر لا سنام لها."(٤)

"وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك. ومنه: الجمل الأدك: المنبسط السنام."(٥)

"عَلَى التَّشْبِيهِ بِالنَّاقَةِ الدَّكَّاءِ وَهِيَ الَّتِي لَا سَنَامَ لَهَا، وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تقديره: جعله في مِثْلَ دَكَّاءَ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ هَذَا الْحَذْفِ. لِأَنَّ السَّدَّ مُذَكَّرٌ فَلَا يُوصَفُ بِدَكَّاءَ."(٦)

---

(١) " القنة: أعلى الجبل." مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٧٢٦) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٩٣)

(٣) مجاز القرآن (١/ ٤١٥)

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان (١٨/ ١١٨)

(٥) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٤٨)

(٦) تفسير القرطبي (١١/ ٦٤)

"أَرَادَ التَّشْبِيهَ بِالنَّاقَةِ الدَّكَّاءِ، وَهِيَ الَّتِي لَا سَنَامَ لَهَا، أَيْ: مِثْلُ دَكَّاءٍ."(١)

"وَذَلِكَ عَلَى التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ."(٢)

وسواء أكان المشبه به جبل التجلى أم سد يأجوج ومأجوج فإن التشبيه بالناقة الدكاء جعل الصورة في كل منهما أكثر وضوحا وأشد قربا، وكأنها رأي العين.

٢- التصوير بهيئة قموح الإبل

من هيئات الإبل التي جاءت مصدرا للتصوير في القرآن الكريم هيئة قموح الإبل، وهي رفع رأسها إلى ظهرها امتناعا عن الشرب بسبب ارتوائها أو لعدم استطاعة شرب الماء لبرودته، قال –تعالى– عن الكافرين: (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ) [يس : ٨]

"قَالَ أَبُو عُبيد: قَمَحَ البعيرُ يَقْمَحُ قُموحاً وقَمَه يَقْمَه قُموها: إذا رفع رأسَه وَلم يشرَب المَاء."(٣)

"المقمح: الذي يضرب رأسه إلى ظهره هيئة البعير."(٤)

"وقمح البعيرُ قَموحاً، إذا رفع رأسَه عند الحوض وامتنع عن الشرب، فهو بعير قامحٌ، والجمع قمَّح بالتشديد. يقال: شرب فَتَقَمَّحَ وانْقَمَحَ بمعنًى، إذا رفع رأسه وترك الشُربَ رِيًّا. وقد قامَحَتْ إبلُك، إذا وَرَدَتْ ولم تشرب ورفعت رأسَها من داءٍ يكون بها

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٠)

(٢) التحرير والتنوير (١٦/ ٣٩)

(٣) تهذيب اللغة (٤/ ٥١)

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦/ ٩٦) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

أو برد. وهي إبل مُقامِحَةٌ. وبعيرٌ مُقامِحٌ، وناقةٌ مُقامِحٌ أيضاً. والجمع قِماحٌ على غير قياس."(١)

"قَمَحَ البعير: رفع رأسه، وأَقْمَحْتُ البعير: شددت رأسه إلى خلف.

وقوله: (مُقْمَحُونَ) تشبيه بذلك، ومثل لهم، وقصد إلى وصفهم بالتّأبّي عن الانقياد للحقّ، وعن الإذعان لقبول الرّشد."(٢)

"أَرَادَ -جلّ وعزّ- أَنَّ أيديَهم لمّا غُلَّت عِنْد أعناقِهم رَفَعَتِ الأغلالُ أذقانَهم ورؤوسهم صُعُداً كَالْإِبِلِ الرافعةِ رؤوسها."(٣)

"مثل تصميمهم على الكفر، وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين:

في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رءوسهم له."(٤)

و"الْأَغْلَالُ فِي الْأَعْنَاقِ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ الِانْقِيَادِ، فَإِنَّ الْمُنْقَادَ يُقَالُ فِيهِ إِنَّهُ وَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى الْخَطِّ وَخَضَعَ عُنُقُهُ وَالَّذِي فِي رَقَبَتِهِ الْغُلُّ الثَّخِينُ إِلَى الذَّقَنِ لَا يُطَأْطِئُ رَأْسَهُ وَلَا يُحَرِّكُهُ تَحْرِيكَ الْمُصَدِّقِ، وَيُصَدِّقُ هَذَا قَوْلُهُ: مُقْمَحُونَ فَإِنَّ الْمُقْمَحَ هُوَ الرَّافِعُ رَأْسَهُ كَالْمُتَأَبِّي يُقَالُ: بَعِيرٌ قَامِحٌ، إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ فَلَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ وَلَمْ يُطَأْطِئْهُ لِلشُّرْبِ،

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٣٩٧)

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٨٣) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية (دمشق – بيروت) الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ.

(٣) تهذيب اللغة (٤/ ٥١)

(٤) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥)

وَالْإِيمَانُ كَالْمَاءِ الزُّلَالِ الَّذِي بِهِ الْحَيَاةُ، وَكَأَنَّهُ -تَعَالَى- قَالَ: إِنَّا جعلنا في أعناقهم أغلالا فَهُمْ مُقْمَحُونَ لَا يُخْضِعُونَ الرِّقَابَ لِأَمْرِ اللَّهِ."[١]

"فهذا تمثيل لرفعهم رؤوسهم عن النظر إلى الداعي تكبراً وشماخة، بحيث لو أمكنهم أن يسكنوا الجو لم يتأخروا صلافة وتيهاً، أو لأنهم يتركون هذا الأمر العظيم الحسن الجدير بأن يقبل عليه ويتروى منه وهم في غاية الحاجة إليه، فهم ذلك كالبعير القامح، إنما منعه من الماء مع شدة عطشه مانع عظيم أقمحه، ولكنه خفي أمره فلم يعلم ما هو، ولذلك بنى الاسم للمفعول إشارة إلى أنهم مقهورون على تفويت حظهم من هذا الأمر الجليل."[٢]

ولا شك أن رؤيتهم لإبلهم في هذه الهيئة مرات ومرات تجعل إحساسهم بهذه المعاناة أشد، وتجعل شعورهم بهذا الألم أقوى، فلربما أعانهم هذا على الانتباه إلى ما هم فيه من فظاعة الإباء عن الحق وبشاعة الاستكبار على الهدى وشناعة الصدود عن الإيمان.

٣- التصوير بهيئة الفاقرة التي تعمل في أنف البعير

قال -تعالى- عن وجوه الكافرين: (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) [القيامة : ٢٤-٢٥] لعلماء اللغة في معنى الفاقرة رأيان، الأول: أنها الداهية التي تكسر فِقار الظهر، والثاني: أن يُحز أنف البعير الصعب، ثمُ يربط بحبل مكان الحز يُجرُّ منه ترويضا وتذليلا.

وفيما يلي عرض كلام علماء اللغة عن كلا الرأيين.

"والفاقِرةُ: الداهية تكسر فقار الظهر."[٣]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٢٥٥)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦/ ٩٧)

(٣) العين (٥/ ١٥٠)

"وَقَالَ اللَّيْث: الفاقرة: داهية تكسر الظَّهر.

قَالَ: والفاقرة: الداهية، وَهُوَ الوَسْم الَّذِي يُفْقَر بِهِ الْأنف.

أَبُو عبيد عَن الْأَصْمَعِي: الفَقْر: أَن يُحَزَّ أنفُ الْبَعِير حتَّى يَخْلُص إِلَى العَظْم أَو قريبٍ مِنْهُ، ثمَّ يُلوَى عَلَيْهِ جَرير،[1] يُذَلَّل بذلك الصَّعْبُ. وَمِنْه قيل: عُملتْ بِهِ الفاقرة. "[2]

"وقد فَقَرت أنف البعير أَفْقِره، إذا حَزَزتَه بحديدةٍ أو مروة ثم وضعت على موضع الحَزِّ الجرير وعليه وتر ملويٌّ لتذله به وتروضه، ومنه قيل: عمل به الفَاقِرَة."[3]

"والفاقِرَةُ الداهية. يقال: فَقَرَتْهُ الفاقِرَةُ، أي كسرتْ فَقارَ ظَهره. وفَقَرْتُ أنف البعير، إذا حززْتَه بحديدةٍ ثم جعلت على موضع الحَزِّ الجريرَ وعليه وتَرٌ ملوى، لتذلله بذلك تروضه. ومنه قولهم: قد عَمِلَ به الفاقِرَةُ."[4]

"الْفَاقِرَةُ: الدَّاهِيَةُ، وَهُوَ الْوَسْمِ الَّذِي يُفْقَرُ عَلَى الْأَنْفِ."[5]

وسار المفسرون على خطى علماء اللغة في معنى الفاقرة، وفيما يلي عرض لبعض أقوالهم.

قال الثعلبي (٤٢٧هـ): "(وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ) عابسة كالحة متغيّرة مسودة (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) قال مجاهد: داهية، سعيد بن المسيب: قاصمة الظهر

---

(١) الجرير: حبل من أدم يخطم به البعير.

(٢) تهذيب اللغة (٩/ ١٠٤)

(٣) إصلاح المنطق (ص: ١٨٢-١٨٣) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت (٢٤٤هـ) تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٧٨٢)

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٨)

وأصلها الفقرة والفقار، يقال: فقره إذا كسر فقاره، كما يقال: رأسه إذا ضرب رأسه، وقال قتادة: الفاقرة: الشرّ، وقال ابن زيد: تعلم أنها ستدخل النار، وقال أبو عبيدة: الفاقرة: الداهية يقال: عمل بها الفاقرة وأصلها الوسم على أنف البعير بحديدة أو بنار حتى يخلص إلى العظم."[1]

وقال ابن عطية: "والباسرة: العابسة المغمومة النفوس، والبسور أشد العبوس. وإنما ذكر -تعالى- الوجوه لأنه فيها يظهر ما في النفس من سرور أو غم، والمراد أصحاب الوجوه ... والفاقرة: المصيبة التي تكسر فقار الإنسان، قال ابن المسيب: هي قاصمة الظهر، وقال أبو عبيدة: هي من فقرت البعير إذا وسمت أنفه بالنار."[2]

وقال الرازي (٦٠٦هـ): "وَأَمَّا الْفَاقِرَةُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْفَاقِرَةُ الدَّاهِيَةُ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْوَسْمِ الَّذِي يُفْقَرُ بِهِ عَلَى الْأَنْفِ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْفَقْرُ أَنْ يُحَزَّ أَنْفُ الْبَعِيرِ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى الْعَظْمِ، أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ، ثُمَّ يُجْعَلَ فِيهِ خَشَبَةٌ يُجَرُّ الْبَعِيرُ بِهَا، وَمِنْهُ قِيلَ: عَمِلَتْ بِهِ الْفَاقِرَةُ، قَالَ الْمُبَرِّدُ: الْفَاقِرَةُ دَاهِيَةٌ تَكْسِرُ الظَّهْرَ، وَأَصْلُهَا مِنَ الْفَقْرَةِ وَالْفَقَارَةِ كَأَنَّ الْفَاقِرَةَ دَاهِيَةٌ تَكْسِرُ فَقَارَ الظَّهْرِ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُقَالُ فَقَرْتُ الرَّجُلَ، كَمَا يُقَالُ رَأَسْتُهُ وَبَطَنْتُهُ فَهُوَ مَفْقُورٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ فَسَّرَ الْفَاقِرَةَ بِأَنْوَاعٍ

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي (١٠/ ٨٨-٨٩) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٠٥)

الْعَذَابِ فِي النَّارِ، وَفَسَّرَهَا الْكَلْبِيُّ فَقَالَ: الْفَاقِرَةُ هِيَ أَنْ تُحْجَبَ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهَا ولا تنظر إليه."[1]

وقال القرطبي (٦٧١هـ): "وَالْفَاقِرَةُ: الدَّاهِيَةُ وَالْأَمْرُ الْعَظِيمُ، يُقَالُ: فَقَرَتْهُ الْفَاقِرَةُ: أَيْ كَسَرَتْ فَقَارَ ظَهْرِهِ. قَالَ مَعْنَاهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْفَاقِرَةُ الشَّرُّ. السُّدِّيُّ: الْهَلَاكُ. ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ زَيْدٍ: دُخُولُ النَّارِ. وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ، وَأَصْلُهَا الْوَسْمُ عَلَى أَنْفِ الْبَعِيرِ بِحَدِيدَةٍ أَوْ نَارٍ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى الْعَظْمِ، قَالَهُ الْأَصْمَعِيُّ. يُقَالُ: فَقَرْتُ أَنْفَ الْبَعِيرِ: إِذَا حَزَزْتَهُ بِحَدِيدَةٍ ثُمَّ جَعَلْتَ عَلَى مَوْضِعِ الْحَزِّ الْجَرِيرَ وَعَلَيْهِ وَتَرٌ مَلْوِيٌّ، لِتُذَلِّلَهُ بِذَلِكَ وَتُرَوِّضَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: قَدْ عَمِلَ بِهِ الْفَاقِرَةَ.."[2]

وقال أبو حيان (٧٤٥هـ): "وَالْفَاقِرَةُ قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ، وتظن بِمَعْنَى تُوقِنُ أَوْ يَغْلِبُ عَلَى اعْتِقَادِهَا وَتَتَوَقَّعُ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ: فِعْلٌ هُوَ فِي شِدَّةٍ دَاهِيَةٍ تَقْصِمُ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فَاقِرَةٌ مِنْ فَقَرْتُ الْبَعِيرَ إِذَا وَسَمْتُ أَنْفَهُ بِالنَّارِ."[3]

وقال الشوكاني (١٢٥٠هـ): "الْفَاقِرَةُ: الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ، يُقَالُ: فَقَرَتْهُ الْفَاقِرَةُ، أَيْ: كَسَرَتْ فَقَارَ ظَهْرِهِ. قَالَ قَتَادَةُ: الْفَاقِرَةُ: الشَّرُّ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: الْهَلَاكُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: دُخُولُ النار. وأصل الفاقرة: الوسم عَلَى أَنْفِ الْبَعِيرِ بِحَدِيدَةٍ أَوْ نَارٍ حَتَّى يخلص إِلَى الْعَظْمِ، كَذَا قَالَ الْأَصْمَعِيُّ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: قَدْ عَمِلَ بِهِ الْفَاقِرَةَ."[4]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٧٣٣)

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي (١٩/ ١١٠) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

(٣) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٣٥١)

(٤) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٠٨)

من عرض ما سبق من أراء علماء اللغة وعلماء التفسير يتبين أن الفاقرة لها معنيان، المعنى الأول: الداهية العظيمة التي تكسر فقار الظهر، والمعنى الثاني: أن يحز أنف البعير الصعب ثم يربط حبل مكان الحز يجر منه ترويضا وتذليلا.

وعلى كلا المعنيين "جَعَلَ لَفْظَ الْفَاقِرَةِ كِنَايَةً عَنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشَّرِّ وَالدَّوَاهِي."[1]

والصورة على المعنى الثاني هي ال

شاهد في هذا المقام، إذ تكون الفاقرة بهذا المعنى كناية عما تظن هذه الوجوه أنه سيحيق بها من العذاب.

وذكر الوجوه يجعل الصورة على المعنى الثاني أقرب مناسبة من الصورة على المعنى الأول، لأنها في المعنى الأول متعلقة بكسر فقار الظهر، أما في المعنى الثاني فهي متعلقة بما يحدث في أنف البعير.

ومما يقوي ذلك أنه لما ذكر الوجوه قبل ذلك في قوله: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ) [القيامة : ٢٢] جاء معها بما يناسبها فقال: (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [القيامة : ٢٣]

ومما يقويه أيضا أن الأسلوب الذي جاءت عليه تلك الصورة (أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) أقرب مناسبة للأسلوب في قولهم: (عمل به الفاقرة) وهو مأخوذ من الفاقرة التي تعمل للبعير كما صرح بذلك علماء اللغة.

٤- التصوير بهيئة الناقة إذا اقمَطَرتْ

من هيئات الإبل التي جاءت مصدرا من مصادر التصوير في القرآن الكريم هيئة الناقة المقمطرة، وذلك في قوله –تعالى–: (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً) [الإنسان : ١٠] .

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٦/ ٨٣)

"جاء في التفسير أن (قمطريرا) معناه تَعْبيسُ الوجه، فَيجتمعُ مَا بينَ العينين، وهذا سائغ في اللغة. يقال: اقمَطَرتْ النَّاقَةُ إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزَمَّتْ[1] بأنفها."[2]

"كأنها تفعل ذلك إذا لحقت كبرا، وقيل: لتضع حملها."[3]

"ووصف اليوم بالعبوس. مجاز على طريقين:

أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء، كقولهم: نهارك صائم.

وأن يشبه في شدته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل."[4]

وما قيل من طريقي المجاز في (عبوسا) يقال مثله في (قمطريرا) لأن "الْجُمْهُورَ جَعَلُوا (قَمْطَرِيراً) وَصَفَ (يَوْماً) وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلُوهُ وَصَفَ (عَبُوساً)."[5]

"ولفظ القمطرير، يحكى بجرسه ما يشبه هدير الرعد، وقصف العواصف. فبناؤه اللفظيّ يجسّم أصدق صورة لمعناه."[6]

---

(١) "زَمَّ البَعِيرُ بِأَنْفِه زَمًّا إِذا رَفَعَ رأسَه لأَلَم يَجِدُه بِهِ." تاج العروس من جواهر القاموس (٣٢/ ٣٢٨) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٥٩)، تهذيب اللغة (٩/ ٣٠٣)، تاج العروس (١٣/ ٤٧٥)

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الألوسي (١٥/ ١٧٣) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعةالأولى، ١٤١٥ هـ

(٤) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٦٩)

(٥) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٨٧)

(٦) التفسير القرآني للقرآن (١٥/ ١٣٦٥)

كل هذا يزيد من إحساس المتلقي ببشاعة هيئة هذا اليوم، وينمي شعوره بكراهة منظره، لعل هذا الإحساس وذلك الشعور يدعوه إلى الخوف منه والعمل له، كما خاف منه وعمل له أولئك الذين تكلمت عنهم الآيات في سورة الإنسان.

وقد تبين من خلال كل هذه النماذج المتعددة المتنوعة كيف أعان التصوير بضخامة أجسام الإبل وهيئاتها المتنوعة على وصول تلك الصور إلى غاياتها وبلوغها بذلك نهاياتها.

الفصل الثاني

التصوير بأحوال سير الإبل في القرآن الكريم

كان العرب دائمي الترحال على إبلهم، وفي تلك الرحلات والأسفار رصدوا سيرها، وشاهدوا تنوع أحوال هذا السير، ولكل حال من تلك الأحوال اسم خاص به دون سواه ، وقد اتخذ القرآن الكريم من بعض تلك الأحوال مصدرا للتصوير في عدة صور، ومن هذه الأحوال الإيضاع وهو حمل البعير على الإسراع، ومنها الإهطاع وهو إسراع البعير في سيره مع تصويب عنقه، ومنها الحسْر وهو شدة إعياء البعير من طول سيره، وفيما يلي بيان ذلك.

المبحث الأول

التصوير بإيضاع الإبل

من أحوال سير الإبل التي جاءت مصدرا للتصوير الإيضاع، وهو حمل البعير على الإسراع، وقد جاء ذلك في قوله –تعالى– عن المنافقين: (لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [التوبة : ٤٧] .

والشاهد من الآية هنا قوله –تعالى–: (ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ)

"قَالَ أَبُو عبيد: الإيضاع سير مثل الخبب، وَهُوَ من سير الْإِبِل."[(١)]

(١) غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ١٧٨) أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (٢٢٤هـ) تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

"يُقَال: أَوضعت بعيرى مَوضِع، وَاسم السّير: الْوَضع وَهُوَ سير حثيث دون الْجهد."[١]

"(وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ) من الوَضْع، وهو سرعة السير. يقال: وضَع البعير وأوضَعْته إيضاعا."[٢]

"الإيضاع: أَن يُعْدِي بعيره ويحملَه على العَدْو الحثيث."[٣]

"الْإِيضَاعَ: حَمْلُ الْبَعِيرِ عَلَى الْعَدْوِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَوْضَعَ الرَّجُلُ إِذَا سَارَ بِنَفْسِهِ سَيْرًا حَثِيثًا. يُقَالُ: وَضَعَ الْبَعِيرُ إِذَا عَدَا، وَأَوْضَعَهُ الرَّاكِبُ إِذَا حَمَلَهُ عَلَيْهِ."[٤]

"والعرب تَقُولُ: أوضع الراكب، ووضعت الناقة فِي سيرها. وربما قالوا للراكب وضع."[٥]

"يقال: أوضعت البعير، وركضت الفرس، وأجريت الحمار."[٦]

"وَالْمَعْنَى: لَسَعَوْا بَيْنَكُمْ بِالْإِفْسَادِ بِمَا يَخْتَلِقُونَهُ مِنَ الْأَكَاذِيبِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْإِرْجَافِ، وَالنَّمَائِمِ الْمُوجِبَةِ لِفَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ."[٧]

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٣) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ١٨٧)

(٣) تهذيب اللغة (٣/ ٤٨)

(٤) تفسير الرازي (١٦/ ٦٣) والمراد من قوله: (حمله عليه) أي حمله على العدو.

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٤٠)

(٦) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٥/ ٣٨٢)

(٧) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤١٨)

"شبه السعي بالفساد بإيضاع الإبل في عدوها، لأن كلاً إجهاد، بيد أن سير الإبل قد يكون إلى الخير، أما الإيضاع هنا فهو فساد وتوهين وتخذيل، وسعى بنميمة."(١)

"والمعنى: ولأوضعوا ركائبهم بينكم، والمراد الإسراع بالنمائم، لأنّ الراكب أسرع من الماشي."(٢)

أي: "ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب، أو الهزيمة والتخذيل."(٣)

"والمرادُ به المبالغةُ في الإسراع بالنمائم."(٤)

"تَسَلِيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي تَخَلُّفِ الْمُنَافِقِينَ عَنْهُمْ."(٥)

"شبه سرعة إفسادهم لذات البين بالنمائم بسرعة سَيْر الركائب، ثم استعير لها الإيضاع، وهو للبعير، وأصل الاستعارة: ولأوضعوا ركائب نمائمهم خلالكم، ثم حذف النمائم، وأقيم المضاف إليه مقامها، لدلالة سياق الكلام على أن المراد النميمة، ثم حذف الركائب." (٦)

(١) زهرة التفاسير (٦/ ٣٣٢٢) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٧٦-٢٧٧)

(٣) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٨٣)

(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٧١)

(٥) تفسير القرطبي (٨/ ١٥٦)

(٦) حاشية الطيبي على الكشاف (٢٦٢/٧)

"قال الشيخ سعد الدين:[1] "ولو قُدِّر: ولأوضعوا النمائم، على أنَّها استعارة مكنية والإيضاع تخييل لكفى."[2]

"وَحَقِيقَة (لَأَوْضَعُوا) أَسْرَعُوا سَيْرَ الرِّكَابِ. يُقَالُ: وَضَعَ الْبَعِيرُ وَضْعًا، إِذَا أَسْرَعَ وَيُقَالُ: أَوْضَعْتُ بَعِيرِي، أَيْ سَيَّرْتُهُ سَيْرًا سَرِيعًا. وَهَذَا الْفِعْلُ مُخْتَصٌّ بِسَيْرِ الْإِبِلِ، فَلِذَلِكَ يُنَزَّلُ فِعْلُ (أَوْضَعَ) مَنْزِلَةَ الْقَاصِرِ،[3] لِأَنَّ مَفْعُولَهُ مَعْلُومٌ مِنْ مَادَّةِ فِعْلِهِ. وَهُوَ هُنَا تَمْثِيلٌ لِحَالَةِ الْمُنَافِقِينَ حِينَ يَبْذُلُونَ جُهْدَهُمْ لِإِيقَاعِ التَّخَاذُلِ وَالْخَوْفِ بَيْنَ رِجَالِ الْجَيْشِ، وَإِلْقَاءِ الْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ عَنْ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، بِحَالِ مَنْ يُجْهِدُ بَعِيرَهُ بِالسَّيْرِ لِإِبْلَاغِ خَبَرٍ مُهِمٍّ أَوْ إِيصَالِ تِجَارَةٍ لِسُوقٍ، وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا التَّمْثِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ) [الْإِسْرَاء: ٥] وَقَوْلُهُ: (وَتَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ) [الْمَائِدَة: ٦٢] . وَأَصْلُهُ قَوْلُهُمْ: يَسْعَى لِكَذَا، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا شَاعَ إِطْلَاقُ السَّعْيِ فِي الْحِرْصِ عَلَى الشَّيْءِ خَفِيَتْ مُلَاحَظَةُ تَمْثِيلِ الْحَالَةِ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ، فَلِذَلِكَ اخْتِيرَ هُنَا ذِكْرُ الْإِيضَاعِ لِعِزَّةِ هَذَا الْمَعْنَى، وَلِمَا فِيهِ مِنَ الصَّلَاحِيَةِ لِتَفْكِيكِ الْهَيْئَةِ بِأَنْ يُشَبَّهَ الْفَاتِنُونَ بِالرَّكْبِ، وَوَسَائِلُ الْفِتْنَةِ بِالرَّوَاحِلِ.

وَفِي ذِكْرِ (خِلالَكُمْ) مَا يَصْلُحُ لِتَشْبِيهِ اسْتِقْرَائِهِمُ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَفْرَادَ بِتَغَلْغُلِ الرَّوَاحِلِ فِي خِلَالِ الطُّرُقِ وَالشِّعَابِ."[4]

---

(١) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عمر بن عبد الله التفتازاني (٧٩١هـ) وأغلب الظن أن هذا القول في حاشيته على كشاف الزمخشري. وحاشيته مخطوطة، ومنها عدة نسخ. ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (١/ ٤٢٥) مؤسسة آل البيت – المجمع الملكي – عمان، ١٩٨٩م.

(٢) حاشية الطيبي على الكشاف (٢٦٢/٧)، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي المسماة: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (٣/ ٥٠٣) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٣) يعني: منزلة الفعل اللازم.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٦-٢١٧)

المبحث الثاني

التصوير بإهطاع الإبل

من أحوال سير الإبل التي جاءت مصدرا للتصوير الإهطاع، وهو إسراع البعير في سيره مع تصويب في عنقه، وقد جاء الإهطاع مصدرا للتصوير في ثلاث آيات، جاءت الأولى تصويرا لحال الظالمين يوم القيامة في قوله -تعالى-: (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء) [إبراهيم : ٤٣]

وجاءت الثانية تصويرا لحال الكافرين يوم القيامة في قوله -تعالى-: (مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) [القمر : ٨]

وجاءت الثالثة تصويرا لحال الكافرين عند إقبالهم على النبي ﷺ : (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) [المعارج : ٣٦]

وفيما يلي عرض لما في كتب اللغة والمعاجم عن هذه الصفة في الإبل.

"وبعيرٌ مُهْطِعٌ: في عُنُقِه تَصْويبٌ خِلْقَةً."(١)

"وبعير مُهْطِعٌ : إذا صوّب عنقه. قال -تعالى-: (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) [إبراهيم/ ٤٣]، (مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ) [القمر/ ٨]."(٢)

---

(١) العين (١/ ١٠١) وتهذيب اللغة (١/ ٩٧) والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١٣٠٧) ومجمل اللغة لابن فارس (ص: ٩٠٦) والمحكم والمحيط الأعظم (١/ ١١٩) أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م. والقاموس المحيط (ص: ٧٧٥) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. ولسان العرب (٨/ ٣٧٢)

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٤٣)

"وَيُقَال: أَهْطَعَ البعيرُ فِي سيْرِه واسْتَهْطَعَ إِذا أَسْرَعَ."(١)

"وقيل: هو المسرع، وقد أهطع في سيره واستهطع."(٢)

"وناقة هَطَعَى: سريعة."(٣)

يفهم من هذا أن الإهطاع في الإبل يراد به صفتان: صفة في الخلقة، وصفة في حال السير، أما الصفة التي في الخلقة فهي تصويب العنق، وأما الصفة التي في حال السير فهي الإسراع.

وقد دارت أقوال المفسرين في (مهطعين) حول هاتين الصفتين وما يتعلق بهما، وإن كان أكثرهم قد ذهب بها إلى الإسراع، لذا اخترت ذكرها في هذا المبحث لغلبة ذلك عليها.

ولا مانع أن تكون الصور القرآنية التي اتخذت من إهطاع الإبل مصدرا لها تريد الصفتين معا لمن يراد تصويرهم بهذا، بل أرى هذا هو الراجح فيها جميعا، وفيما يلي عرض بعض الأقوال التي جمعت بين الصفتين.

"(مُهْطِعِينَ) مُسْرِعِينَ مَادِّينِ أَعْنَاقهمْ." (٤)

---

(١) تهذيب اللغة (١/ ٩٧) لسان العرب (٨/ ٣٧٢)

(٢) أساس البلاغة (٢/ ٣٧٦)

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (١/ ١١٩) لسان العرب (٨/ ٣٧٢)

(٤) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٩/ ٤٤٥)، تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٣٥٩) وتفسير الجلالين (ص: ٧٠٥) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى. وغاية الأماني في تفسير الكلام الرباني (ص: ٤٢) شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني (٨٩٣هـ) (من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس) دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا – كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م. والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٢٧/ ١٤٦) د. وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ. والتفسير الوسيط للقرآن الكريم (٩/ ١١٧٣) مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

"(مهطعين إِلَى الدَّاعِي) ناظرين قد رفعوا رؤوسهم إِلَى الدَّاعِي."[١]

"(مهطعين إلى الداع) أي: مسرعين خائفين مقبلين بأبصارهم عليه لا يقلعون عنه، مادين أعناقهم نحوه، مصوبي رؤوسهم لا يلتفتون إلى سواه."[٢]

"(مُهْطِعِينَ) مسرعين (إِلَى الدَّاعِ) المنادى، مادين أعناقهم نحوه، من شدة خوفهم وهولهم ليعلموا لم يدعوهم."[٣]

"(مُهْطِعِينَ) مسرعين خائفين لا ينظرون إلا (إِلَى الدَّاعِ) أي لجهة صوته مادّين أعناقهم شاخصين بأبصارهم مهرولين نحوه."[٤]

"فَقَوْلُهُ: (مُهْطِعِينَ) أَيْ: مُسْرِعِينَ نَحْوَكَ مَادِّينَ أَعْنَاقَهُمْ إِلَيْكَ مُقْبِلِينَ بِأَبْصَارِهِمْ عَلَيْكَ."[٥]

"(مُهطِعِينَ) مُسرعين، مادّين أعناقهم إليك، مقبلين بأبصارهم عليك."

من كل ما ذُكر يتبين أن هذه الصور قد بنيت على استعارة الإهطاع من الإبل لأولئك الذين تحدثت عنهم الآيات السابقة في سياقاتها المتعددة.

---

(١) غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب (ص: ٤٤٢) أبو بكر محمد بن عُزير السجستاني (٣٣٠هـ) تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة – سوريا، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩/ ١٠١)

(٣) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (٢/ ٣٦٩) نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (٩٢٠هـ) دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

(٤) بيان المعاني (١/ ٢٨٤) عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م.

(٥) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٤٦)، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٧/ ١٤٠) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (١٢٢٤هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

المبحث الثالث

التصوير بحسْر الإبل

من أحوال الإبل في السير التي جاءت مصدرا للتصوير في القرآن الكريم حالة الحسْر، وهي شدة إعياء البعير من طول سيره، وقد تعددت الصور التي اتخذت من هذه الحالة مصدرا لها، ومن ذلك قوله –تعالى–: (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً) [الإسراء : ٢٩]، وقوله –تعالى–: (وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) [الأنبياء : ١٩]، وقوله –تعالى–: (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) [الملك : ٤].

وسيأتي استعراض كل صورة من تلك الصور على حدة، ولكن بعد استطلاع الأصل اللغوي الذي قامت عليه.

"حَسُر البعيرُ حَسارةً كلَّ وأعيا، فهو حَسيرٌ."(١)

"وحَسَرَ البَعِيرُ كـ (ضَرَبَ) و (فَرِحَ) حَسْراً وحُسُوراً وحَسَراً: أَعْيَا من السَّيْرِ وكَلَّ وتَعِبَ، كاسْتَحْسَرَ استِفْعَال من الحَسْرِ وَهُوَ العَيَاءُ والتَّعَب. وَقَالَ اللَّهُ –تَعَالى–: (وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ)."(٢)

"وحَسَرَ البَعِيرَ يَحْسِرُه ويَحْسُرُه حَسْراً وحُسُوراً: سَاقَه حَتَّى أَعْيَاه، وكذالك حَسَرَه السَّير، كأَحْسَرَه إِحْسَاراً وحَسَّرَه تَحْسِيراً."(٣)

---

(١) كتاب الأفعال (١/ ٢٠٦) أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري، ويعرف بابن الحداد (بعد ٤٠٠ هـ) تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

(٢) تاج العروس (١١/ ١٣)

(٣) تاج العروس (١١/ ١٢)

"وحَسَرْتُ البعيرَ: إذا سرت عليه حتى ينقطع سيره. قال الفراء: ومنه قوله – تعالى–:

(مَلُوماً مَحْسُوراً)، أي: مُتْعَباً."(١)

"وَحَسَرَ الْبَعِيرُ أَعْيَا، وَ حَسَرَهُ غَيْرُهُ، وَ اسْتَحْسَرَ –أَيْضًا– أَعْيَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ – تَعَالَى–: (مَلُومًا مَحْسُورًا) [الإسراء: ٢٩]، وَقَوْلُهُ: (وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) [الأنبياء: ١٩]."(٢)

"(ملوماً محسوراً) منقطعاً عن النفقة والتصرف كالبعير الحسير، أي: ذهبت قوته. (وهو حسير) كليل. و (لا يستحسرون) لا ينقطعون عن العبادة."(٣)

"والحَسِيرُ: البَعِيرُ المُعْيِى، الّذي كَلَّ من كَثْرَةِ السَّيْرِ."(٤)

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٣/ ١٤٤٤) نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (٥٧٣هـ) تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

(٢) مختار الصحاح (ص: ٧٢) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٣) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار (١/ ٥١٣) جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (٩٨٦هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

(٤) تاج العروس (١١/ ١٣)

والآن نأتي إلى الصورة الأولى من الصور التي اتخذت من حسْر البعير مصدرا لها، وهي قوله –تعالى–: (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً) [الإسراء : ٢٩]

"نَهاهُ أن يعطي كل ما عنده حَتَّى لا يبقى محسورًا لا شيء عنده. والعرب تَقُولُ للبعير:

هُوَ محسور إذا انقطعَ سيره."(١)

"(مَلُوماً مَحْسُوراً) أي: منضى(٢) قد أعيا، يقال: حسرت البعير، وحسرته بالمسألة والبصر أيضا إذا رجع محسورا."(٣)

"(مَحْسُورًا) أي: تَحْسِرُكَ العطيةُ وتقطعك، كما يَحْسِرُ السفر البعير فيبقى منقطعًا."(٤)

"(مَحْسُوراً) أي: منقطعا لا شيء عندك، وهو من قولهم: حسر السفر البعير إذا أتعبه حتى لم تبق له قوة."(٥)

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٢)

(٢) "والنِّضْوُ من الابِل: الذي قد أنْضَتَه الأسفار أي هَزَلَتْه، والأنْثَى نِضْوةٌ. والمُنْضي: الذي صارَ بعيره نِضْواً، وقد أنْضاه السَّفَرُ." العين (٧/ ٥٩)

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٥)

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٥٤)

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل = تفسير ابن جزي (١/ ٤٤٥) أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ.

"والجمل لا يقطع الطريق ويصل إلى الغاية إلّا إذا حافظ صاحبه على ما فيه من قوة، فسار به سيراً وسطاً. أما إذا أجهده واستنزف قوته، فإنه يسقط كليلاً محسوراً: فلا قطع طريقه، ولا وصل منزله، ولا أبقى جمله.

فكذلك الإنسان في طريق هذه الحياة محتاج إلى قوة المال، فإذا أنفقه بحكمة نفع به وانتفع، وبلغ غاية حياته هادئاً راضياً، وإذا بسط يده فيه كل البسط أتى عليه فانقطع النفع والانتفاع، ولم يبلغ غاية حياته إلاّ بأتعاب ومشاق."(١)

"ولا شك أن المال مطية الحوائج والآمال وكثيرا ما يلام الرجل على تضييع المال بالكلية وإبقاء الأهل والولد في الضر والمحنة."(٢)

"فالمعنى: فتقعد وقد بالغت في الحَمْل على نفسك وحالك حتى صِرتَ بمنزلة من قد حَسَر."(٣)

"وَقَالَ الْقَفَّالُ : (٤) الْمَقْصُودُ تَشْبِيهُ حَالِ مَنْ أَنْفَقَ كُلَّ مَالِهِ وَنَفَقَاتِهِ بِمَنِ انْقَطَعَ فِي سَفَرِهِ بِسَبَبِ انْقِطَاعِ مَطِيَّتِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْمِقْدَارَ مِنَ الْمَالِ كَأَنَّهُ مَطِيَّةٌ يَحْمِلُ

(١) تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) (ص: ٨٥) عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (١٣٥٩هـ) علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٣٤٤)

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٥٠)

(٤) "أَبُو بكر: مُحَمَّد بن عَليّ بن إِسْمَاعِيل الْقفال الشَّاشِي ، أَصله إصبهاني، إمام عصره بلا مدافعة (٣٦٥هـ)" فتح الباب في الكنى والألقاب (ص: ١١٩) أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (٣٩٥هـ) تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٤/ ٢٠٠) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

الْإِنْسَانَ وَيُبَلِّغُهُ إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ أَوِ السَّنَةِ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَعِيرَ يَحْمِلُهُ وَيُبَلِّغُهُ إِلَى آخِرِ الْمَنْزِلِ فَإِذَا انْقَطَعَ ذَلِكَ الْبَعِيرُ بَقِيَ فِي وَسَطِ الطَّرِيقِ عَاجِزًا مُتَحَيِّرًا، فَكَذَلِكَ إِذَا أَنْفَقَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مُدَّةِ شَهْرٍ بَقِيَ فِي وَسَطِ ذَلِكَ الشَّهْرِ عَاجِزًا مُتَحَيِّرًا وَمَنْ فَعَلَ هَذَا لَحِقَهُ اللَّوْمُ مِنْ أَهْلِهِ وَالْمُحْتَاجِينَ إِلَى إِنْفَاقِهِ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ سُوءِ تَدْبِيرِهِ وَتَرْكِ الْحَزْمِ فِي مُهِمَّاتِ مَعَاشِهِ."[(١)]

"قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ : [(٢)] يَقُولُ لَا تُسْرِفْ وَلَا تُتْلِفْ مَالَكَ فَتَبْقَى مَحْسُورًا مُنْقَطِعًا عَنِ النَّفَقَةِ وَالتَّصَرُّفِ، كَمَا يَكُونُ الْبَعِيرُ الْحَسِيرُ، وَهُوَ الَّذِي ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ فَلَا انْبِعَاثَ بِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ) [الْملك: ٤] أَيْ: كَلِيلٌ مُنْقَطِعٌ.

وَقَالَ قَتَادَةُ : [(٣)] أَيْ: نَادِمًا عَلَى مَا سَلَفَ مِنْكَ، فَجَعَلَهُ مِنَ الْحَسْرَةِ.

وَفِيهِ بُعْدٌ، لِأَنَّ الْفَاعِلَ مِنَ الْحَسْرَةِ حَسِرٌ وَحَسْرَانُ وَلَا يُقَالُ مَحْسُورٌ. وَالْمَلُومُ: الَّذِي يُلَامُ عَلَى إِتْلَافِ مَالِهِ، أَوْ يلومه من لا يعطيه."[(٤)]

"هَذَا خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ، وَكَثِيرًا مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَانَ سَيِّدَهُمْ وَوَاسِطَتَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ عَبَّرَ بِهِ عَنْهُمْ، عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٠/ ٣٣٠)

(٢) "الْحسن بن عَرَفَة بن يزِيد الْعَبْدي، الإِمَامُ المُحَدِّثُ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِيْنَ وَمائَةٍ، قَالَ البَغَوِيُّ: مَاتَ بِسَامَرَّاءَ، فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَتَيْنِ." سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٤٧-٥٥١)

(٣) "أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة، من حفاظ أهل زمانه وعلمائهم بالقرآن والفقه، مات بواسط سنة سبع عشرة ومائة، وهو بن ست وخمسين سنة." مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (ص: ١٥٤) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (٣٥٤هـ) حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٥١)

ﷺ كَانَ قَدْ خَيَّرَهُ اللَّهُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، فَاخْتَارَ الْفَقْرَ، يَجُوعُ يَوْمًا، وَيَشْبَعُ يَوْمًا، وَيَشُدُّ عَلَى بَطْنِهِ مِنْ الْجُوعِ حَجَرَيْنِ، وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ صَبَّارًا، وَكَانَ يَأْخُذُ لِعِيَالِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّضِيرَ وَفَدَكَ وَخَيْبَرَ، ثُمَّ يَصْرِفُ مَا بَقِيَ فِي الْحَاجَاتِ، حَتَّى يَأْتِيَ أَثْنَاءَ الْحَوْلِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ، فَلَمْ يَدْخُلْ فِي هَذَا الْخِطَابِ بِإِجْمَاعٍ مِنْ الْأُمَّةِ، لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ الْخِلَالِ وَالْجَلَالِ، وَشَرَفِ الْمَنْزِلَةِ، وَقُوَّةِ النَّفْسِ عَلَى الْوَظَائِفِ، وَعَظِيمِ الْعَزْمِ عَلَى الْمَقَاصِدِ، فَأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ فَالْخِطَابُ عَلَيْهِمْ وَارِدٌ."(١)

"وأنت ترى أن الألفاظ هنا، ليس شيء منها يدل على المعنى المقصود بطريق الدلالة اللغوية الأصلية، وإنما هي تكشف عن المعنى المراد بواسطة التصوير والتخييل، والأداة المستعملة لذلك جملة من المجازات والتشبيهات والاستعارات المختلفة."(٢)

"فقد صوّر البخل في مظهر اليد المربوطة إلى العنق فهي لا تكاد تنفك عنه، ومعلوم أن اليد أبعد ما تكون عن الآخرين حينما تكون مقيدة بهذا الشكل الغريب، وصوّر الإسراف بتلك اليد التي تظل ممتدة ومبسوطة لا تكاد ترجع إلى صاحبها أو تنقبض على شيء، ثم هدد من يلتزم بذلك التفريط أو هذا الإفراط بأن سيأتيه يوم يعود من دأبه هذا ليقعد منقطعا عن أسباب العيش والرزق، يتلقى اللوم من الله والناس على ما أفرط أو فرّط."(٣)

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ١٩٢) القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) من روائع القرآن (تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل) (ص: ٢٣١-٢٣٢) محمّد سَعيد رَمضان البوطي، موسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

(٣) من روائع القرآن (ص: ٢٦١)

"فالبخل يصوَّرُ باليد المغلولة إلى العنق، والإسراف باليد المبسوطة التي لا تمسك شيئا، ثم تجسّم الصورة لكلّ من البخيل والمسرف، في صورة القاعد الحسير، الذي لا يتمكّن من متابعة شئون حياته، فالبخيل يمنعه بخله، من مزاولة شئون حياته، والمسرف ينتهي إلى الإفلاس، فلا يتمكن من متابعة حياته."(١)

وقيل: "هذا لف ونشر فاللوم راجع إلى البخل، لأن الإنسان يلام على عدم النفقة، ولم يقل: (مذموما) ليتناول ذلك النهي عن البخل بالواجب وبغيره، وقوله: (محسورا) راجع إلى النهي عن بسط اليد؛ لأنه إذا بالغ في بسطها يقل درهمه ورزقه ويتغير عليه فيبقى محسورا."(٢)

"وقال بعض المحققين: الأولى أن يكون ذلك بيانا لقبح الأمرين، ويعتبر التوزيع."(٣)

وأما الصورة الثانية من الصور التي اتخذت من حسْر البعير مصدرا لها فهي في قوله –تعالى–: (وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) [الأنبياء : ١٩]

"(وَلا يَسْتَحْسِرُونَ) أَيْ يَعْيَوْنَ، قَالَهُ قَتَادَةُ. مَأْخُوذٌ مِنَ الحسير وهو البعير المنقط،ع بالإعياء والتعب، يقال: حَسَرَ الْبَعِيرُ يَحْسِرُ حُسُورًا أَعْيَا وَكَلَّ، وَاسْتَحْسَرَ

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص: ١١٠) عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

(٢) تفسير ابن عرفة (٣/ ٦٣) أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي (٨٠٣هـ) تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (٨/ ٦٤)

وَتَحَسَّرَ مِثْلُهُ، وَحَسَرْتُهُ أَنَا حَسْرًا يَتَعَدَّى وَلَا يتعدى، وَأَحْسَرْتُهُ أَيْضًا فَهُوَ حَسِيرٌ."(١)

"وحسر واستحسر بمعنى واحد، وهذا موجود في كثير من الأفعال، وإن كان الباب في استفعل أن يكون لطلب الشيء."(٢)

"والظاهر أن الاستحسار حيث لا طلب -كما هنا- أبلغ من الحسور، فإن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى، والمراد من الاتحاد بينهما الدال عليه كلامهم الاتحاد في أصل المعنى، والتعبير به للتنبيه على أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها، ومع ذلك لا يستحسرون، وليس لنفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصله في الجملة."(٣)

"وَهَذَا الْمَعْنَى قَدْ يُعَبِّرُ عَنْهُ أَهِلُ الْمَعَانِي بِأَنَّ الْمُبَالَغَةَ فِي النَّفْيِ لَا فِي الْمَنْفِيِّ."(٤)

"عدل عن الثلاثي وهو حسر إلى السداسي وهو استحسر، وقد كان ظاهر الكلام أن يقال: يحسرون، أي: يكلون ويتعبون، لأن أقل ملل منهم أو كلال إزاء الملائكة وإزاء عبادتهم لله -سبحانه- لا يتصور منهم، ولكنه عدل عن ذلك لسرّ يخفى على النظرة السطحية الأولى وهو أن ما هم فيه من انهماك بالعبادة وانصراف بالكلية لها يوجب غاية الحسور وأقصاه."(٥)

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ٢٧٧-٢٧٨)

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٧٧)

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (٩/ ٢١)

(٤) التحرير والتنوير (١٧/ ٣٦)

(٥) إعراب القرآن وبيانه (٦/ ٢٩٦) المؤلف : محيي الدين أحمد مصطفى درويش (١٤٠٣هـ) دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

"وقوله –تعالى–: (مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يعم الملائكة والنبيين وغيرهم ، ثم خصص من هذا العموم من أراد تشريفه من الملائكة بقوله –تعالى–: وَمَنْ عِنْدَهُ لأن (عند) هنا ليست في المسافات، إنما هي تشريف في المنزلة، فوصفهم –تعالى– بأنهم لا يَسْتَكْبِرُونَ عن عبادة الله ولا يسأمونها ولا يكلون فيها."(١)

"أي: ومن عنده من مخلوقاته وعلى رأسهم الملائكة المقربون، لا يستكبرون عن عبادته– سبحانه– بل يخضعون له خضوعا تاما، وَلا يَسْتَحْسِرُونَ أى: ولا يكلون ولا يتعبون."(٢)

"وَهَذِهِ الْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ الشَّرَفِ وَالرُّتْبَةِ لَا عِنْدِيَّةُ الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: الْمَلَائِكَةُ مَعَ كَمَالِ شَرَفِهِمْ وَنِهَايَةِ جَلَالَتِهِمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ طَاعَتِهِ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْبَشَرِ الضَّعِيفِ التَّمَرُّدُ عَنْ طَاعَتِهِ."(٣)

وهكذا من خلال ما سبق بيانه يتضح أن نفي الملل والكلل في عبادة من هم عند الله لم يأت بطريق مباشر، وإنما من خلال حالة البعير الحسير مصدرة بحرف النفي (لا) المتبوع بالفعل المضارع الدال على الاستحسار (يستحسرون) بيانا لاستمرار ودوام نفي هذه الصورة عنهم، وكأنهم في طريق العبادة سائرون دون انقطاع أو توقف أو كلل أو ملل.

وأما الصورة الثالثة من الصور التي اتخذت من حسْر البعير مصدرا لها فهي في قوله –تعالى–: (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِير) [الْملك: ٤]

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٧٧)
(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ١٩٥)
(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ١٢٦)

"وقوله: (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً) يريد: صاغرًا وهو حسير كليل كما يحسَر البعيرُ والإبلُ إذَا قوّمت عنْ هزال وكلال فهي الحسرى، وواحدها: حسير."(١)

"أي: كَلِيلٌ منقطعٌ عن أن يَلحق ما نظَر إليه."(٢)

"وهو مجازٌ واستعارةٌ من الحيوان للحاسة."(٣)

"أي: كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة. يقال: حسر بعيره يحسر حسورا أي: كلّ وانقطع فهو حسير ومحسور."(٤) "إِذَا أَتْعَبَهُ السَّيْرُ فَلَمْ تَبْقَ لَهُ قُوَّةٌ."(٥)

"وَهُوَ كلل ناشىء عَنْ قُوَّةِ التَّأَمُّلِ وَالتَّحْدِيقِ مَعَ التَّكْرِيرِ، أَيْ يَرْجِعُ الْبَصَرُ غَيْرَ وَاجِدٍ مَا أُغْرِيَ بِالْحِرْصِ عَلَى رُؤْيَتِهِ بَعْدَ أَنْ أَدَامَ التَّأَمُّلَ وَالْفَحْصَ حَتَّى عَيِيَ وَكَلَّ، أَيْ لَا تَجِدْ بَعْدَ اللَّأْيِ فُطُورًا فِي خلق الله."(٦)

"أى: كليل وبالغ غاية الاعياء لطول المعاودة وكثرة المراجعة، وهو (فعيل) بمعنى (الفاعل)."(٧)

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٠)

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٧٤)

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١/ ٤٠٦) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦ هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

(٤) تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٩)

(٥) التحرير والتنوير (١٥/ ٨٥)

(٦) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠)

(٧) روح البيان (١٠/ ٨٠) المولى أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (١١٢٧هـ) دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

"أَمَرَهُ بِرَجْعِ الْبَصَرِ ثُمَّ أَمَرَهُ بِأَنْ لَا يَقْنَعَ بِالرَّجْعَةِ الْأُولَى، بَلْ أَنْ يَتَوَقَّفَ بَعْدَهَا وَيَجُمَّ بَصَرَهُ ثُمَّ يُعِيدَهُ وَيُعَاوِدَهُ إِلَى أَنْ يَحْسِرَ بَصَرُهُ مِنْ طُولِ الْمُعَاوَدَةِ فَإِنَّهُ لَا يعثر على شيء من فطور."(١)

"والجملة(٢) حال من البصر أو من الضمير المستتر في خاسئا، فيكون من قبيل الأحوال المتداخلة، قال بعضهم: فإذا كان الحال هذا في بعض المصنوع فكيف عند طلب العلم بالصانع في كماله وجلاله وجماله؟!."(٣)

"وقوله –سبحانه–: (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ) هو من الاستعارات المشهورة.

والمراد بها –والله أعلم– أي: كرّر أيّها الناظر بصرك إلى السماء مفكّرا في عجائبها، ومستنبطا غوامض تركيبها، يرجع إليك بصرك بعيدا ممّا طلبه، ذليلا بفوت ما قدّره.

والخاسئ في قول قوم: البعيد. من قولهم: خسأت الكلب . إذا أبعدته.

وفي قول قوم: هو الذليل. يقال: رجل خاس أي ذليل، وقد خسي أي خضع وذلّ.

والحسير: البعير المُعيى ، الذي قد بلغ السير مجهوده، واعتصر عوده.

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٥٨٣)

(٢) جملة : وهو حسير.

(٣) روح البيان (١٠/ ٨٠)

فتلخيص المعنى: أنّ البصر يرجع بعد سروحه في طلب مراده، وإبعاده في غايات مرامه، كالّا، معيى، بعيدا من إدراك بغيته، خائبا من نيل طلبته."[1]

والشاهد معنا من هذه الصورة الكلية صورة البصر الذي ينظر إلى السماء المترامية الأطراف، ويعاود النظر مرات ومرات ليجد فيها عيبا أو نقصا، فيصاب بالكلل والتعب من طول المعاودة، دون أن يجد فيها شيئا يعيبها، فصار بهذا كالبعير الذي يسير في طرق ممتدة لا تنتهي ولا يبلغ مداها، فيعود من حيث بدأ، ثم يعاود السير مرة أخرى، ويجدد الارتحال كرة بعد كرة، إلى أن يحسر ويتعب ويكلّ، بل يبلغ به الكلل والإعياء أقصى مدى، ولا يحقق هدفه من الوصول إلى ما كان يبغي، رغم تعدد محاولاته وتكرارها مرات ومرات.

من كل ما تقدم تبين كيف اتخذ القرآن الكريم من أحوال لإبل في سيرها مصدرا من مصادر التصوير فيه، كما تبين كيف ساعدت أحوال سير الإبل التي تم التصوير بها في شحذ أحساس المتلقي وتنمية شعوره بما سيقت له كل صورة من تلك الصورة.

(١) الموسوعة القرآنية (خصائص السور) (١٠/ ٨٩) جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى–١٤٢٠هـ .

الفصل الثالث

التصوير بأمراض الإبل في القرآن الكريم

تنوعت وتعددت الأمراض التي تصاب بها الإبل، وقد شاهد العرب أحوالها عند مرضها، وعلموا آثار كل مرض من هذه الأمراض عليها، ورأوا معاناتها وآلامها، وقد اتخذ القرآن الكريم من بعض تلك الأمراض مصدرا للتصوير في عدة صور.

من هذه الأمراض الحَبَط، وهو داء تصاب به الإبل في بطونها عند كثرة الأكل أو عند الأكل من نباتات بعينها، تنتفخ معه بطونها انتفاخا عظيما ربما يهلكه،

ومن هذه الأمراض الجَرَب، وهو داء معد يصيب جلد البعير، فتعزل الإبل الجربى بسببه عن الإبل الصحاح، وتطلى بالقطران[1] لتشفى، والجرب لم يأت ذكره صريحا في الصورة التي معنا، وإنما جاء ذكر القطران، فاستلزم ذكره داء الجرب عند الإبل.

ومن هذه الأمراض الصَّعَر، وهو داء يصيب الإبل فتلتوي منه أعناقها.

ومن هذه الأمراض الهُيام، وهو داء يصيب الإبل يحعلها لا ترتوي من الماء مهما شربت.

وفيما يلي بيان كل ذلك مفصَّلا.

(١) "والقَطْرانُ والقَطِرانُ: عُصارَة الأَبْهَلِ والأَرْزِ وَنَحْوِهِمَا يُطْبَخ فيُتحلب مِنْهُ ثُمَّ تُهْنَأُ بِهِ الإِبِل." لسان العرب (٥/ ١٠٥)

المبحث الأول

التصوير بداء الحَبَط

من أمراض الإبل التي اتخذ القرآن الكريم منها مصدرا للتصوير الحبَط، وهو داء تصاب به الإبل في بطونها عند كثرة الأكل أو عند الأكل من نباتات بعينها، تنتفخ معه بطونها انتفاخا عظيما ربما يهلكها، وقد تكلم القرآن الكريم عن حبط الأعمال في آيات كثيرة(١) وسياقات متنوعة يضيق عن ذكرها المقام، والشاهد منها جميعا وصف الأعمال بالحبط، وفيما يلي بيان طائفة من أقوال علماء اللغة وغيرهم في معنى الحبط.

"الحَبَط: وَجَع يأخُذُ البعيرَ في بَطْنه من كَلأَ يَسْتَوْبِلُه،(٢) يقال: حَبِطَتِ الإبِل تحبَط حَبَطاً."(٣)

"وَقد حَبِط حَبَطا فَهُوَ حَبِيطٌ. وإبل حَباطَي وحَبِطَةٌ."(٤)

"الحبط أَن تنتفخ بطُون الابل عَن أكل الذرق هُوَ الحندقوق."(٥)

"والحَبْطُ أصلهْ الحَبَطُ، وهو داء يأخذ الإبل في أجوافها من كلأٍ يستوبله."(٦)

---

(١) من هذه الآيات: [البقرة : ٢١٧] [آل عمران : ٢٢] [المائدة : ٥، ٥٣] [الأنعام : ٨٨] [الأعراف : ١٤٧] [التوبة : ١٧، ٦٩] [الكهف : ١٠٥] [الأحزاب : ١٩] [الزمر : ٦٥] [محمد : ٩، ٢٨، ٣٢] [الحجرات : ٢]

(٢) الوبيلُ من المراعي: الوخيم، لا يُستَمْرَأُ. العين (٨/ ٣٣٨)

(٣) العين (٣/ ١٧٤)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٢٨)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٢٤٦)

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٢٤٦)

(٥) غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٤٧) و الذرق أو الحندقوق نوع من النفل.

(٦) تفسير الراغب الأصفهاني (٤/ ٢٨٠) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

"والحبوط من حبطت الإبل: إذا أكلت الخضر فنفخ بطونها، وربما هلكت. ومنه قوله –عليه الصلاة والسلام–: (وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ)[1] ومن أخواته: حبجت الإبل، إذا أكلت العرفج[2] فأصابها ذلك."[3]

"والحبط في اللغة: أن تأكل الإبل شيئا يضرها فتعظم بطونها فتهلك."[4]

وتبعا لهذا جاء كلام العلماء عن الصورة الناشئة عن إسناد الحبط إلى الأعمال، وفيما يلي عرض لبعض هذه الأقوال.

"قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَصْلُ الْحَبَطِ أَنْ تَأْكُلَ الْإِبِلُ شَيْئًا يَضُرُّهَا فَتَعْظُمَ بُطُونُهَا فَتَهْلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ (وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ) فَسَمَّى بُطْلَانَ الْأَعْمَالِ بِهَذَا لِأَنَّهُ كَفَسَادِ الشَّيْءِ بِسَبَبِ وُرُودِ الْمُفْسِدِ عَلَيْهِ."[5]

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري (٤/ ٢٧) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ. والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ صحيح مسلم (٢/ ٧٢٧) أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. بدون تاريخ. وفي هامش نفس الصفحة من كلام المحقق: "معناه أن نبات الربيع وخضره يقتل حبطا بالتخمة لكثرة الأكل أو يقارب القتل إلا إذا اقتصر منه على اليسير الذي تدعو إليه الحاجة وتحصل به الكفاية."

(٢) العَرْفَجُ: نباتٌ من نَبات الصَّيف ليِّنٌ أغْبَر له ثَمَرةٌ خَشْناء كالحَسَكِ، الواحدة عَرْفَجةٌ. العين (٢/ ٣٢٢)

(٣) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٥٥)

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٥٩٨)

(٥) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٦/ ٣٩٣)

"وَفِعْلُ حَبِطَ مِنْ بَابِ (سَمِعَ) وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ، قَالَ اللُّغَوِيُّونَ: أَصْلُهُ مِنَ (الْحَبَطِ) بِفَتْحِ الْبَاءِ، وَهُوَ انْتِفَاخٌ فِي بُطُونِ الْإِبِلِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، فَتَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِطْلَاقُهُ عَلَى إِبْطَالِ الْأَعْمَالِ تَمْثِيلٌ، لِأَنَّ الْإِبِلَ تَأْكُلُ الْخَضِرَ شَهْوَةً لِلشِّبَعِ، فَيَئُولُ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ، فَشَبَّهَ حَالَ مَنْ عَمِلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لِنَفْعِهَا فِي الْآخِرَةِ فَلَمْ يَجِدْ لَهَا أَثَرًا بِالْمَاشِيَةِ الَّتِي أَكَلَتْ حَتَّى أَصَابَهَا الْحَبَطُ، ... وَحَبَطُ الْأَعْمَالِ: زَوَالِ آثَارِهَا الْمَجْعُولَةِ مُرَتَّبَةً عَلَيْهَا شَرْعًا، فَيَشْمَلُ آثَارَهَا فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابَ فِي الْآخِرَةِ."(١)

"وَحَبَطُ الْأَعْمَالِ إِزَالَةُ آثَارِهَا النَّافِعَةِ مِنْ ثَوَابٍ ونعيم فِي الْآخِرَةِ، وَحَيَاةٍ طَيِّبَةٍ فِي الدُّنْيَا، وَإِطْلَاقُ الْحَبَطِ عَلَى ذَلِكَ تَمْثِيلٌ بِحَالِ الْإِبِلِ الَّتِي يُصِيبُهَا الْحَبَطُ وَهُوَ انْتِفَاخٌ فِي بُطُونِهَا مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، يَكُونُ سَبَبَ مَوْتِهَا، فِي حِينِ أَكَلَتْ مَا أَكَلَتْ لِلِالْتِذَاذِ بِهِ."(٢)

"وَالْحَبْطُ: تَمْثِيلٌ لِعَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، بِسَبَبِ مَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا مِنَ الْكُفْرِ مَأْخُوذٌ مِنْ حَبِطَتِ الْإِبِلُ، إِذَا أَكَلَتِ الْخُضْرَ فَنَفَخَ بُطُونَهَا، وَتَعْتَلُّ وَرُبَّمَا هَلَكَتْ."(٣)

"جُعِلَ العملُ السَّيِّئُ في إضراره بالعمل الصالح كالداء والحَرَض(٤) لمن يُصاب به، أعاذنا الله من حَبَط الأعمال وخيبة الآمال."(٥)

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٣٢)

(٢) التحرير والتنوير (٣/ ٢٠٧)

(٣) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٢١)

(٤) "يُقَالُ: أَحْرَضَهُ المرضُ فَهُوَ حَرِضٌ وحَارِضٌ: إِذَا أَفْسَد بَدَنَه وَأَشْفَى عَلَى الْهَلَاكِ." النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٦٨) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٥) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٥٥)

"وَالْإِحْبَاطُ: جَعْلُ شَيْءٍ حَابِطًا، فَالْهَمْزَةُ فِيهِ لِلْجَعْلِ مِثْلَ الْإِذْهَابِ ... وَقَدْ صَارَ لَفْظُ الْحَبْطِ وَالْحُبُوطِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ الِاصْطِلَاحِيَّةِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْفِقْهِ وَالْكَلَامِ، فَأُطْلِقَ عَلَى عَدَمِ الِاعْتِدَادِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ."(١)

"وحَبْط العمل على أضرب:

أحدها: أن تكون الأعمال دنيوية فلا تغني في القيامة غناء، كما أشار إليه بقوله: (وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً) [الفرقان/ ٢٣] .

والثاني: أن تكون أعمالا أخروية، لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله – تعالى– كما روي: «أنه يؤتى يوم القيامة برجل فيقال له: بم كان اشتغالك؟ قال: بقراءة القرآن، فيقال له: قد كنت تقرأ ليقال: هو قارئ، وقد قيل ذلك، فيؤمر به إلى النار».(٢)

والثالث: أن تكون أعمالا صالحة، ولكن بإزائها سيئات توفي عليها، وذلك هو المشار إليه بخفّة الميزان."(٣)

---

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ٢٩٩)

(٢) لم أجد هذا الحديث بتلك الصياغة في كتب الحديث المعتبرة، ووجدت أصل معناه : "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ... إلى أن يقول: "وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ." صحيح مسلم (٣/ ١٥١٣)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (١٤/ ٢٩-٣٠) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م .

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢١٦)

المبحث الثاني

التصوير بداء الجرب

من أمراض الإبل التي اتخذ القرآن الكريم منها مصدرا للتصوير الجَرَب، وهو داء معد يصيب جلد البعير، فتعزل الإبل الجربى بسببه عن الإبل الصحاح، وتطلى بالقطران[1] لتشفى، والجرب لم يأت ذكره صريحا في الصورة التي معنا، وإنما جاء ذكر القطران، فاستلزم ذكره داء الجرب عند الإبل، وقد جاء ذلك في قوله -تعالى- عن المجرمين يوم القيامة: (وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ . سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ) [إبراهيم : ٤٩-٥٠]

ارتبط القطران ارتباطا وثيقا بجرب الإبل، إذ أن أبرز وظائفه وأشهرها عند نزول القرآن الكريم طلاء الإبل الجربى به لعلاجها. وقد شاع هذا التلازم بين القطران والإبل الجربى، ومن أمثلة ذلك قول القائل:

أَنَا القَطِرَانُ والشُّعَاءُ جَرْبَي ∴ وَفِي القَطِرَانُ للجَرْبَي هِنَاءُ[2]

---

(١) "والقَطْرانُ والقَطِرانُ: عُصارَة الأَبْهَلِ والأَرْزِ وَنَحْوِهِمَا يُطْبَخ فيُتحلب مِنْهُ ثُمَّ تُهْنَأُ بِهِ الإِبِل." لسان العرب (٥/ ١٠٥)

(٢) الهناء: كالطلاء لفظا ومعنى، والبيت من الوافر، ونسبه ابن فارس إلى شاعر يسمى القطران القطران (ولعله قطران العبشميّ، ويقال العبشي) مقاييس اللغة (١/ ٤٤٩) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ونسب إلى الفرزدق في بدائع البدائه (ص: ١٦) علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، أبو الحسن جمال الدين (٦١٣هـ) ضبطه وصححه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م. ولم أجده في ديوان الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة الدارمي، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ومن أمثلة ذلك قول النَّبِيَّ ﷺ: "النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ."(١)

وقد صار يعرف القطران بأنه طلاء الإبل الجربى، لذا "قَالَ الْحَسَنُ(٢) عن معناه في الآية السابقة: الْقَطِرَانُ الَّذِي يُطْلَى بِهِ الإِبِلُ."(٣)

وعلى ذلك جمهور علماء اللغة وعلماء التفسير، والقلة التي قالت عن القطران في الآية الكريمة: إنه النُّحاس، رد عليها الدكتور الذهبي (١٣٩٨هـ) بقوله: "ليسا بقولين، وإنما الثاني(٤) تفسير لقراءة مَن قرأ: (من قِطْرٍ آنٍ) بتنوين قطر، وهو النحاس المذاب، وآن: شديد الحرارة."(٥)

يؤكد هذا قول الفراء: "عَامَّةُ القراء مُجْمِعونَ عَلَى أَنَّ القطِران حرف واحد مثل الظَّرِبان."(٦)

يعني بقوله:حرف واحد، كلمة واحدة.

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٦٤٤) و مسند أحمد (٣٧/ ٥٤٤-٥٤٥)

(٢) يعني الحسن البصري (١١٠هـ) من أئمة التابعين.

(٣) تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٥٩) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة (٢٠٠هـ) تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م. ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٥٤٦) أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (٣٣٨هـ) تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٤) يعني: القول بأنه نحاس.

(٥) التفسير والمفسرون (١/ ١٠١) الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (١٣٩٨هـ) مكتبة وهبة، القاهرة.

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ٨٢)، والظَّرِبَانُ: دابّةٌ صغِيرُ القوائِمِ يَكُونُ طُولُ قوائِمه قَدْرَ نِصْفِ أَصْبَعٍ، وَهُوَ عَرِيضٌ يَكُونُ عَرْضُه شِبْراً وفِتْراً، وطُولُه مِقْدَارُ ذِرَاعٍ، وَهُوَ مُكَرْبَسُ الرَّأْسِ أَي مُجْتَمِعهُ. تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣٠)

كما يؤكده أن "قراءة القراء العشرة: (قَطِران) أي: قطران الإبل، وهو شيء يتحلب من شجر تُهْنَأُ (يعني: تطلى) به الإبل عند إصابتها بالجرب. والقراءة الأخرى على كلمتين (قِطْرٍ آنٍ) القِطْر: النحاس المذاب، و(آنٍ) الذائب الحار الذي قد تناهى حره."(١)

وعلى هذا فالقطران له معنى واحد "هو ما تطلى به الإبل من الجرب –ويسمى الهناء– سمي بذلك لأنه يتقاطر."(٢)

"القطران: فيه ثلاثة لغات: قَطِران، وقَطْران، وقِطْران (بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء) وهو مَا يُتحلَّبُ مِنْ شَجَرِ يسمى الْأُبْهُلِ(٣) فَيُطْبَخُ، فَتُهْنَأُ بِهِ الْإِبِلُ الْجَرْبَى، فيحرق الْجَرَب بِحَرِّهِ وَحِدَّتِهِ والجلد، وقد تبلغ حرارته الجوف، ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وقد يستسرج به، وهو أسود اللون منتن الريح، فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص، لتجتمع عليهم الأربع: لذع القطران. وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح. على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين، وكل ما وعده الله أو وعد به في الآخرة، فبينه وبين ما نشاهد من جنسه من لا يقادر قدره، وكأنه ما عندنا منه إلا

(١) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (ص: ٤٩٧) محمد بن عمر بن سالم بازمول، نسخة مصورة عن مخطوطة (دكتوراه) بكلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤١٢/١٤١٣هـ.

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/ ٣١٩)

(٣) "أي: يتقاطر منه كالصمغ، والأُبهُل: –بضم الهمزة والهاء وباء ساكنة بينهما– اسم شجر، قيل: هو العرعر، وقيل: غيره، والزفت: نوع منه كما شاهدناه في الديار التي يصنع فيها." حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (٥/ ٢٧٨) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) دار صادر – بيروت.

الأسامى والمسميات ثمة، فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه، ونسأله إن ينجينا من عذابه."[١]

"في (سَرابِيلُهُمْ) تشبيه بليغ،[٢] وذلك أن المقصود أنه تطلى جلود أهل النار بالقطران حتى يعود طلاؤه كالسرابيل."[٣]

ويلزم من هذا التشبيه تصويرهم بالإبل الجربى التي تطلى بالقطران لجربها، ففي ذلك كناية عن نبذهم وعزلهم وذلتهم واحتقارهم.

وقد تكون استعارة قائمة على تشبيه الوقاية من حر جهنم بسرابيل القطران كمداواة الإبل الجربى بالقطران.

"أَي: جعل القطران لَهُم لباسا، ليزِيد فِي حر النَّار عَلَيْهِم، فَيكون مَا يتوقى بِهِ من الْعَذَاب عذَابا."[٤]

"فيكون الدواء أدوى من الداء."[٥]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٦٧)

(٢) المراد بالتشبيه البليغ أن: سرابيلهم كالقطران، ثم حذفت أداة التشبيه (الكاف). "ويدل على أن التصريح بـ [مِنْ] لا يُنافي التشبيه الإتيان بها مع صريحه، نحو قوله ﷺ: "كأنه من رجال شنوءة، وكأنه من رجال الزط." معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ١٩٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (٧/ ٢٤١)

(٤) غريب القرآن للسجستاني (ص: ٣٧٥-٣٧٦)

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) (٤/ ١٤١٩) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

"تشبيه لهم بأكره ما يوجد منظرا عند العرب. وهو الإبل الجربى التي تطلى بالقطران. وإعلام بأن لهم أعظم ما ينال الجلد داء وهو تقرحه بالجرب. وأخبث ما يكون دواء لقبحه لونا وريحا، وهو القطران. فإنه أسود منتن الريح." (١)

"وعادة يضرب الحق –سبحانه– المثل من الصورة القريبة إلى الذِّهن، من التي يراها العربي في بيئته."(٢)

"ويؤيد ما بيناه من أن في الآية إشارة إلى ابتلائهم بجرب جهنم: ما رواه الإمام أحمد ومسلم(٣) عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول ﷺ: "والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب." (٤)

"وما الظن بداء قد سارت به الأمثال وقيلت فيه، دون سائر الأدواء الأقوال."(٥)

"والعبارة بسبيل وصف منظر المجرمين بأخبث وأقبح منظر لونا وريحا."(٦)

"وقال بعضهم: يحتمل أن يكون القطران المذكور عين ما لا بسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والأعمال السيئة المستجلبة لفنون

(١) محاسن التأويل = تفسير القاسمي (٦/ ٣٢٤) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

(٢) خواطري حول القرآن الكريم = تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٦١٦) الشيخ محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ) مطابع أخبار اليوم، ١٩٩١ م.

(٣) سبق ذكر هذا الحديث، وهو في صحيح مسلم (٢/ ٦٤٤) ومسند أحمد (٣٧/ ٥٤٤-٥٤٥)

(٤) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٦/ ٣٢٤) والحديث قد سبقت الإشارة إليه.

(٥) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٦/ ٣٢٥)

(٦) التفسير الحديث (٥/ ٢٤٨-٢٤٩) دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة ١٣٨٣ هـ.

العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب، عصمنا الله -تعالى- من ذلك بلطفه وكرمه."[١]

في جميع الأحوال فإن التخييل ملازم لهذه الصورة لأنه "لا يتأتى السربال حقيقة من القَطران إلا بأنْ تبدّل صفته من المائعية إلى التجمد."[٢]

"وجعلت سرابيلهم من قطران -واللَّه أعلم- لأن القطران يبالغ في اشتعال النار في الجلود، ولو أراد الله المبالغة في إحراقهم بغير نار وغير قطران لقدر على ذلك، لكن عذب بما يعقل العباد العذاب من جهته وحذرهم ما يعرفون حقيقته."[٣]

"وقد أوعد الله -تعالى- المستكبرين عن عبادته أن يعذبهم بذلك، لمعان أربعة: للذعه وحرقته، واشتعال النار فيه وإسراعها في المطلي به، وسواد لونه بحيث تشمئز عنه النفوس، ونتن رائحته؛ فيطلى به جلودهم حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل؛ أنهم كانوا يستكبرون عن عبادته؛ فألبسهم لباس الخزى والهوان."[٤]

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (٧/ ٢٤١)

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ١٩١)

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٧٠)

(٤)الميسر في شرح مصابيح السنة (٢/ ٤٠٤) أبو عبد الله شهاب الدين فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف التُّورِبِشْتِي (٦٦١ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ.

المبحث الثالث

التصوير بداء الصَّعَر

من أمراض الإبل التي اتخذ القرآن الكريم منها مصدرا للتصوير الصعر، وهو داء يصيب الإبل فتلتوي منه أعناقها، وقد جاء ذلك في قوله -تعالى-: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [لقمان : ١٨]

"والصَّعَر: دَاء يُصِيب الْإِبِل فتلتوي مِنْهُ أعناقُها، وَبِه سُمّي المتكبر أصعر. وتصاعرَ الرجل وتصعَّر، إِذا لوى خَدَّه من الكِبرَ. وَذكر أَبُو عُبَيْدَة أَن من هَذَا قَوْله -عزّ وَجل-: (وَلَا تصَعِّرْ خدَّك للنَّاس)."[1]

"(وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) مجازه: ولا تقلب وجهك، ولا تعرض بوجهك في ناحية من الكبر، ومنه الصعر الذي يأخذ الإبل في رؤوسها حتى يلفت أعناقها عن رؤوسها، قال عمرو بن حنىّ التّغلبىّ:

وَكُنّا إِذا الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ∴ أَقَمنا لَهُ مِن مَيلِهِ فَتَقَوَّما[2]

(١) جمهرة اللغة (٢/ ٧٣٧-٧٣٨)

(٢) البيت من الطويل، ونسبه المرزباني في معجم الشعراء لعمرو بن حُنَيٍّ التَّغلبيّ وذكر أنه أنه فارس جاهلي مذكور، معجم الشعراء (ص: ٢٠٦-٢٠٧) أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤ هـ) بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف . كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. والبيت في ديوان المتلمس الضبعي (ص: ٢٤) المتلمس الضبعي (٤٣ ق . هـ) تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية – القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

والصّعر داء يأخذ البعير فى عنقه أو رأسه، فيشبّه به الرجل الذي يتكبر على الناس.[١]

"ومعناه: لا تُعْرِضْ عن الناس تَكَبُّراً، يقال: أصاب البعيرَ صَعَرٌ وصَيَد إذا أَصَابه دَاء فلوى منه عنُقَهُ، فيقال للمتكبر فيه صَعَر، وفيه صَيَدٌ ... لأنه لا داء بالإنسان أَدْوَأَ من الكِبْرِ."[٢]

"فعلى هذا يكون قوله: (وَلَا تُصَعِّرْ)، أي: لا تلو عنقك عن الناس."[٣] "وقد استعير للتكبر."[٤]

"قيل هذا للمتكبر لأنه تكبر فلوى عنقه على من تكبر عليه."[٥]

"والمعنى: أقبل على الناس بكل وجهك تواضعا لا بشق الوجه كعادة المتكبرين."[٦]

"يُقَالُ: صَاعَرَ وَصَعَّرَ، إِذَا أَمَالَ عُنُقَهُ إِلَى جَانِبٍ لِيُعْرِضَ عَنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الصَّعَرِ بِالتَّحْرِيكِ لِدَاءٍ يُصِيبُ الْبَعِيرَ فَيَلْوِي مِنْهُ عُنُقَهُ، فَكَأَنَّهُ صِيغَ لَهُ صِيغَةَ (تَكَلُّفٍ) بِمَعْنَى: تَكَلُّفِ إِظْهَارِ الصَّعَرِ، وَهُوَ تَمْثِيلٌ لِلِاحْتِقَارِ، لِأَنَّ مُصَاعَرَةَ الْخَدِّ هَيْئَةُ الْمُحْتَقِرِ الْمُسْتَخِفِّ فِي غَالِبِ الْأَحْوَالِ ... وَالْمَعْنَى: لَا تَحْتَقِرِ النَّاسَ، فَالنَّهْيُ

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٢٧)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٩٨)

(٣) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٨/ ٣٠٧) بتصرف.

(٤) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي (٧/ ١٣٦)

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه (٩/ ٥٧٢٩-٥٧٣٠) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي (٤٣٧هـ)، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٦) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٤٢٦)

عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُمُ احْتِقَارًا لَهُمْ، لَا عَنْ خُصُوصِ مُصَاعَرَةِ الْخَدِّ، فَيَشْمَلُ الِاحْتِقَارَ بِالْقَوْلِ وَالشَّتْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى-: (فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ) [الْإِسْرَاء: ٢٣] إِلَّا أَنَّ هَذَا تَمْثِيلٌ كَنَائِيٌّ، وَالْآخَرُ كِنَايَةٌ لَا تَمْثِيلَ فِيهَا."[١]

"ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التي لا تدوم أشار إلى المقصود به بقوله: (للناس) بلام العلة، أي: لا تفعل ذلك لأجل الإمالة عنهم."[٢]

لأن "(اللام) هنا ليست للتعدية، بل للتعليل، أي لَا تمل خدك لأجل النَّاس."[٣]

"فكلمة (للناس) هنا لها مدخل، وكأن الله -تعالى- يقول لمن يُصعِّر خده : لا تَدْعُ الناس إلى العصيان والتمرد على أقدار الله بتكبُّرك عليهم وإظهار مزاياك وسَتْر مزاياهم، فقد تصادف قليلَ الإيمان الذي يتمرد على الله ويعترض على قدره فيه حينما يراك متكبراً متعالياً وهو حقير متواضع."[٤]

"واختيار هذا التشبيه بالذات كأن الحق -سبحانه- يُنبِّهنا أن التكبُّر داء، وتصعير الخدِّ داء، فهذا داء جسدي، وهذا داء خلقي. وقد تنبه الشاعر[٥] إلى هذا المعنى فقال:

فَدَعْ كُلَّ طَاغِيَةٍ للزَّمَانِ ∴ فَإِنَّ الزمَانَ يُقِيم الصَّعَر

يعني: إذا لم يستطع أبناء الزمان تقويم صعر المتكبر، فدعْه للزمان فهو جدير بتقويمه."[٦]

---

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ١٦٦)

(٢) إعراب القرآن وبيانه (٧/ ٥٤٠)

(٣) تفسير ابن عرفة (٣/ ٢٧٢)

(٤) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٦٧٤)

(٥) الشاعر هو أحمد شوقي، والبيت من (المتقارب) في الشوقيات (١/ ١٤٠) أحمد شوقي (١٩٣٢م) مطابع دار الكتاب العربي -بيروت، توزيع المكتبة التجارية الكبرى – مصر، بدون تاريخ.

(٦) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٦٧١-١١٦٧٢)

"وهذه صورة قبيحة، وكأن القرآن يُشبه المتكبر بالناقة الموصوفة بالصعر."[١]

"وصورة (تصعير الخد) الحسية بحركتها وهيئتها تنقل لنا معنى التكبر بصورة كريهة منفرة؛ لما بين صورة المتكبر وصورة (الصعر) في الإبل من تشابه وصلة في الحركة والهيئة، والأثر الكريه المنفّر، فالصّعر في الأصل داء يصيب الإبل، فيجعلها تميل بأعناقها بهيئة منفّرة، وصورة المتكبر المائل بعنقه تشبه تلك الصورة الحسية في الإبل، وبذلك يغدو التكبر داء يصيب الإنسان، فيلوي عنقه خيلاء وتكبرا على عباد الله، فالعلاقة بين الصورتين واضحة في الحركة والهيئة والسبب. "[٢]

فهذا تصوير للإنسان المغرور المتكبر الذي يلوي رأسه متكبراً، وهو يظن أنه أعظم من غيره، وكأن هذا الصعار الذي تصاب به الإبل قد أصاب هذا الإنسان فمال عن الفطرة، واعوج عن الطريق المستقيم، فهو في حاجة إلى الشفاء كحاجة الإبل عندما تصاب بهذا الداء.

ومن قراءة كلام ما سبق من كلام العلماء في القديم والحديث يمكن ملاحظة تعدد رؤاهم حول نوع هذه الصورة القرآنية، فمنهم من نسبها إلى الاستعارة، ومنهم من عزاها إلى الكناية، ومنهم من ألحقها بالتشبيه، ولكل وجهة، ولعل ما في هذه الصورة من طاقات بيانية جعل الرؤى تتعدد حول طبيعة تلك الصورة، فمن نظر إلى إثبات التصعير للخد نسبها إلى الاستعارة، ومن نظر إلى ما يلزم من تصعير الخد عزاها إلى الكناية، ومن نظر إلى علاقة المشابهة التي قام عليها إثبات التصعير للخد ألحقها بالتشبيه.

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢/ ٢٧٠) عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص: ١١٦)

المبحث الرابع
التصوير بداء الهُيام

من أمراض الإبل التي اتخذ القرآن الكريم منها مصدرا للتصوير الهُيام، وهو داء يصيب الإبل يحعلها لا ترتوي من الماء مهما شريت، وقد جاء ذلك في قوله –تعالى–: (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) [الواقعة : ٥٤–٥٥].

"والْهِيمِ: الإبل التي يصيبها داء فلا تَروَى من الماء، واحدها: أهيم، والأنثى: هيماء.

ومن العرب من يَقُولُ: هائم، وَالأنثى هائمة، ثُمَّ يجمعونه عَلَى هيم، كما قَالُوا: عائط[١] وعيط."[٢]

"والهُيام الِاسْم، وَهُوَ الدَّاء الَّذِي يُصِيب الْإِبِل بِعَيْنِه. قَالَ الشَّاعِر: [٣]

بـيَ اليـأسُ أَو داءُ الهُيـام أصـابني ∴ فإيّـاكِ عنّـي لَا أُصِـبْكِ بـدائيا."[٤]

"والْهُيَامُ: داء يأخذ الإبل من العطش، ويضرب به المثل فيمن اشتدّ به العشق، قال:

---

(١) العائط: التي لم تحمل سنين من غير عقم.

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٨)، تهذيب اللغة (٦/ ٢٤٧)

(٣) البيت من الطويل، وهو في ديوان عروة بن حزام، وروايته:

"بِيَ اليَأسُ أَو داءُ الهُيامِ أَصابَني ∴ فَإِيّاكَ عَنّي لا يَكُن بِكَ ما بِيا."

ديوان عروة بن حزام (ص: ٥٣) عروة بن حزام بن مهاجر العذري (٣٠ هـ) تحقيق: أنطوان محسن القوّال، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م. وبنفس الرواية في ديوان قيس بن الملوح (ص: ١٢٥) قيس بن الملوح الملقب بمجنون لبلى (٦٨ هـ) تحقيق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

(٤) جمهرة اللغة (٢/ ٩٩٥)

(أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ) [الشعراء/ ٢٢٥] أي: في كلّ نوع من الكلام يغلون في المدح والذّمّ، وسائر الأنواع المختلفات، ومنه: الْهَائِمُ على وجهه المخالف للقصد الذاهب على وجهه، وهَامَ: ذهب في الأرض، واشتدّ عشقه، وعطش، والْهِيمُ: الإبل العطاش، وكذلك الرّمال تبتلع الماء، والْهِيَامُ من الرمل: اليابس، كأنّ به عطشا."[١]

"قيل: الهيم: هو إبل يأخذه الداء، فيشرب حتى يملأ البطن، فلا يروى أبدا؛ للداء الذي فيه؛ فعلى ذلك أهل النار يشربون ويأكلون حتى تمتليء بطونهم، فلا يروون ولا يشبعون، واللَّه أعلم.

وقيل: الهيم: الإبل الذي يهيم في الأرض ولا يرد الماء أياما، ثم إذا ورد الماء فيشرب، فتمتلئ بطنه حتى يهلك؛ لامتلاء البطن." [٢]

"وقيل: "الهيم: الإبل الضوال لأنها تهيم في الأرض لا تجد ماءً فإذا وجدته فلا شيء أعظم منها شرباً."[٣]

"والمعنى: مثلَ شُرْبِ الهِيم."[٤]

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٤٨)

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٩/ ٤٩٩)

(٣) النكت والعيون = تفسير الماوردي (٥/ ٤٥٧) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ) تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ٢١١) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ) تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

و"الْهِيمِ صفة لموصوف محذوف، أى: الإبل الهيم."[١]

"أي: لا يكونُ شربُكم شرباً معتاداً بل يكونُ مثلَ شربِ الهيمِ."[٢]

"وَالْهِيمُ: جَمْعُ أَهْيَمَ، وَهُوَ الْبَعِيرُ الَّذِي أَصَابَهُ الْهُيَامُ بِضَمِّ الْهَاءِ، وَهُوَ دَاءٌ يُصِيبُ الْإِبِلَ يُورِثُهَا حُمَّى فِي الْأَمْعَاءِ فَلَا تَزَالُ تَشْرَبُ وَلَا تُرْوَى، أَيْ شَارِبُونَ مِنَ الْحَمِيمِ شُرْبًا لَا يَنْقَطِعُ فَهُوَ مُسْتَمِرَّةُ آلَامَهُ."[٣]

"فشبهوا بها أحط تشبيه.

قال ذو الرمة:

فَأَصْبَحَتُ كَالهَيْمَاءِ لاَ الماءُ مُبْرِدُ ∴ صَداهَا وَلاَ يقضي عَلَيْهَا هُيَامُهَا[٤]

أى: أصبح كالإبل المريضة تشرب فلا تروى. وتتعذب فلا تموت وتستريح."[٥]

"فهم يستشفون من داء بداء، ويستجيرون من بلاء ببلاء، ويطفئون النار بالنار!."[٦]

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ١٧٣)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ١٩٦)

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣١٠)

(٤) البيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة، وجاءت فيه كلمة (مبرئ) مكان كلمة (مُبْرِدُ). ديوان ذي الرمة (ص: ٢٨٠) غيلان بن عقبة بن مسعود التميمي المعروف بذي الرمة (١١٧هـ) تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥م.

(٥) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢/ ٢٣٤)

(٦) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٧٢٢)

"ومن كان شربه والعياذ بالله الماء المغلي كيف يروى؟."[١]

"يسلط عليهم من العطش ما يضطرّهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم، فيشربونه شرب الهيم. فإن قلت: كيف صحّ عطف الشاربين على الشاربين، وهما لذوات متفقة، وصفتان متفقتان، فكان عطفا للشيء على نفسه؟ قلت: ليسنا بمتفقتين، من حيث إنّ كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه: من تناهى الحرارة وقطع الأمعاء: أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء: أمر عجيب أيضا، فكانتا صفتين مختلفتين."[٢]

"المعنى مختلف لأن الأول يقتضى الشرب مطلقا، والآخر يقتضي الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم."[٣]

"فهو تفسيرٌ للشُرْب قبلَه، ألا ترى أنَّ ما قبلَه يَصْلُح أن يكونَ مثلَ شُرْبِ الهيمِ ومثلَ شُرْبِ غيرِها، ففَسَّره بأنه مثلُ شُرْبِ هؤلاء البهائم."[٤]

"فَإِنْ قِيلَ: الْأَهْيَمُ إِذَا شَرِبَ الْمَاءَ الْكَثِيرَ يَضُرُّهُ وَلَكِنْ فِي الْحَالِ يَلْتَذُّ بِهِ، فَهَلْ لِأَهْلِ الْجَحِيمِ مِنْ شُرْبِ الْحَمِيمِ الْحَارِّ فِي النَّارِ لَذَّةٌ؟ قُلْنَا: لَا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِبَيَانِ زِيَادَةِ الْعَذَابِ، وَوَجْهُهُ أَنْ يُقَالَ: يُلْزَمُونَ بِشُرْبِ الْحَمِيمِ، وَلَا يُكْتَفَى مِنْهُمْ بِذَلِكَ الشُّرْبِ، بَلْ يُلْزَمُونَ أَنْ يَشْرَبُوا كَمَا يَشْرَبُ الْجَمَلُ الْأَهْيَمُ الَّذِي بِهِ الْهُيَامُ."[٥]

(١) بيان المعاني (٢/ ٢٤٦)
(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٤٦٤)
(٣) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٣٧)
(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ٢١٢)
(٥) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩/ ٤١٥)

"وفي ذلك فائدتان، إحداهما: التنبيهُ على كثرةِ شُرْبِهم منه. والثانية: عَدمُ جَدْوَى الشُّرْب، وأن المشروبَ لا يَنْجَعُ فيهم كما لا يَنْجَعُ في الهِيْم."(١)

من الواضح أن من سيقت هذه الأمراض لتصويرهم فيهم اعوجاج وميل عن الحق والصواب، مهما تنوعت أوصافهم أو تغيرت طبائعهم، ولعل تصويرهم بهذه الأمراض إنما جاء ليلفت الأنظار إلى الأمراض المعنوية التي أصيب بها أولئك الذين سيقت هذه الأمراض لتصويرهم.

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ٢١٣)

الفصل الرابع

التصوير بأطوار حمل الإبل وعادات حلبها في القرآن الكريم

رصد العرب أطوار حمل الإبل وعادات حلبها، وكانت معرفتهم بأسماء هذه الأطوار وتلك العادات واسعة، ودرايتهم بخصائصها وسماتها شاسعة، وقد اتخذ القرآن الكريم بعض هذه الأطوار وتلك العادات مصدرا من مصادر التصوير فيه، فمن مصادر التصوير القرآني الإبل اللواقح، وهي جمع لاقح، وهي الحامل التي تيين حملها، وقيل: جمع لقوح، وهى ناقة ذات لبن، وقيل: من ألقح الفحل الناقة إذا ألقى ماءه فيها لتحمل، ومن تلك المصادر النوق العِشار، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرةُ أشهر، ومن هذه المصادر فواق الناقة، وهو ما بين الحلبتين، وفيما يلي بيان كل ذلك مفصلا.

المبحث الأول

التصوير بالإبل اللواقح

صور القرآن الكريم الرياح بالإبل اللواقح في قوله -تعالى-: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) [الحجر : ٢٢] .

تعدد معنى اللواقح عند علماء اللغة، وتعدد -تبعا لذلك- عند المفسرين، فقيل: اللواقح جمع لاقح: أي: الحامل التي تيين حملها، وقيل: جمع لقوح، وهى ناقة ذات لبن، وقيل: من ألقح الفحل الناقة إذا ألقى ماءه فيها لتحمل، واتسعت الصورة تبعا لاتساع المعنى.

"وأصلُ اللَّقاح لِلْإِبِلِ."[١]

(١) تهذيب اللغة (٤/ ٣٤)

"يُقَال: لَقِحَت النَّاقة تَلْقَح لَقَاحاً ولَقْحاً، وناقة لاقِح وإبِل لواقِحُ ولُقَّح. واللَّقُوح: اللَّبُون، وَإِنَّمَا تكون لَقُوحاً أوَّل نَتاجِها شَهْرين أَو ثَلاثَة أشهر، ثمَّ يَقَع عَنْهَا اسْم اللَّقُوح، فَيُقَال: لَبُون. قَالَ: وَيُقَال: نَاقَة لَقُوح ولِقْحة. وَجمع لَقُوح لُقُح ولِقَاحٌ ولَقائحُ، وَمن قَالَ لِقْحَة جمعهَا لِقَحاً ... واللِّقَاح: ذواتُ الأَلْبَان من النُّوق، وَاحِدهَا لَقُوح ولِقْحة."(١)

"(وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) أَي: حوامِل، جعل الرّيح لاقحاً لِأَنَّهَا تحمل المَاء والسحاب وتقلّبه وتصرّفه ثمَّ تَسْتَدِرّه، فالرياح لَوَاقِح أَي حوامل على هَذَا الْمَعْنى، وَمِنْه قولُ أبي وَجْزَة: (٢)

حَتّى سَلَكنَ الشوى مِنهُنَّ في مَسكٍ ∴ مِن نَسل جَوّابَةِ الآفاقِ مِهداجِ

(سلكْنَ) يعنِي: الأُتُن أدخلن شَواهُنَّ أَي: قوائمهن فِي مَسَك، أَي: فِي مَاء صَار كالمَسَك لأيديها، ثمَّ جعل ذَلِك المَاء من نَسْلِ ريح تجوب الْبِلَاد، فَجعل المَاء للريح كَالْوَلَدِ: لِأَنَّهَا حَملته. وَمِمَّا يُحَقّق ذَلِك قولُ الله -جلّ وعزّ-: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً) [الأعراف : ٥٧] أَي: حَمَلَت."(٣)

"قال ابن الأنباري: الريح اللاقح؛ الذي يحمل الماء والسحاب على جهة التشبيه والتمثيل بالناقة التي تشتمل على ماء الفحل، والذي يتولد عن الريح من

(١) تهذيب اللغة (٤/ ٣٥)

(٢) أَبُو وَجْزَةَ السَّعدي، وَاسْمُهُ يَزِيدُ بْنُ عُبيد مِنْ بني سعد بن بكر بن هَوازن، توفي سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ. الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم (ص: ٢٧٢) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ) تحقيق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

(٣) تهذيب اللغة (٤/ ٣٦)

السحاب، والمطر بمنزلة الولد الذي تنتجه الناقة، وهذا كما تقول العرب: قد لقحت الحرب وقد نتجت ولدًا أنكدًا، يُشبِّهون ما تشتمل عليه من ضروب الشر بما تحمله الناقة، ويُشبِّهون بما يتولد منها من القتل والنهب بما تضعه الناقة، يشهد لصحة هذا قول الشاعر: [1]

لَقَحَتْ حُرْبُ وائلٍ عن حِيالِ.[2]

والريحُ العقيمُ غيرُ لاقح، إذا لم تحمل ما يتولد منه مطر ويصدر عنه روح وفرح."[3]

"فهو من التشبيه البليغ، شبهت الريح التي تأتي بالسحب الماطرة بالناقة الحامل، لأنها حاملة للسحاب الماطر أو للماء الذي فيه."[4]

"وجاز أن يكون لواقح جمع لقوح وهى ناقة ذات لبن."[5]

(١) هو "الحارث بن عباد بن ضبيعة بن ثعلبة بن حارثة" العقد الفريد (٣/ ٣١٤)، (٦/ ٧٧) أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه (٣٢٨هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

(٢) هذا عجز بيت من (الخفيف) صدره: (قَرِّبا مَربَطَ النَعامَةِ مِنّي)، ديوان الحارث بن عباد (ص: ١٩٩) جمعه وحققه: أنس عبد الهادي أبو هلال، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

(٣) التفسير البسيط (١٢/ ٥٨٢-٥٨٣) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (٤٦٨هـ) عمادة البحث العلمي – جامعة محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.

(٤) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي (٥/ ٢٨٨)

(٥) التفسير المظهري (٥/ ٢٩٦) محمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، ١٤١٢ هـ.

"عن عبد الله بن مسعود في قوله: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) قال: يرسل الله الرياح فتحمل الماء، فتجري السحاب، فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر."(١)

"وقيل: (٢) لواقح بِمَعْنَى مُلَقَّحَةٌ وَهُوَ الْأَصْلُ، وَلَكِنَّهَا لَا تُلَقِّحُ إِلَّا وَهِيَ فِي نَفْسِهَا لَاقِحٌ، كَأَنَّ الرِّيَاحَ لقحت بخير. قيل: ذَوَاتُ لَقْحٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ صَحِيحٌ، أَيْ مِنْهَا مَا يُلَقِّحُ الشَّجَرَ، كَقَوْلِهِمْ: عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ، أَيْ فِيهَا رِضًا، وَلَيْلٌ نَائِمٌ، أَيْ فِيهِ نَوْمٌ. وَمِنْهَا مَا تَأْتِي بِالسَّحَابِ. يُقَالُ: لَقِحَتِ النَّاقَةُ (بِالْكَسْرِ) لَقَحًا وَلَقَاحًا (بِالْفَتْحِ) فَهِيَ لَاقِحٌ. وَأَلْقَحَهَا الفحل أي ألقى إليها الْمَاءَ فَحَمَلَتْهُ، فَالرِّيَاحُ كَالْفَحْلِ لِلسَّحَابِ."(٣)

"وهو من ألقح الفحل الناقة إذا ألقى ماءه فيها لتحمل فاستعير لصب المطر في السحاب أو الشجر."(٤)

"رُوعِيَ فِيهِ جَوَازُ تَأْنِيثِ الْمُشَبَّهِ بِهِ. وَهِيَ جَمْعُ الْفُحُولِ لِأَنَّ جَمْعَ مَا لَا يَعْقِلُ يَجُوزُ تَأْنِيثُهُ.

وَمَعْنَى الْإِلْقَاحِ: أَنَّ الرِّيَاحَ تُلَقِّحُ السَّحَابَ بِالْمَاءِ بِتَوْجِيهِ عَمِلِ الْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ مُتَعَاقِبَيْنِ فَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ الْبُخَارُ الَّذِي يَصِيرُ مَاءً فِي الْجَوِّ ثُمَّ يَنْزِلُ مَطَرًا عَلَى الْأَرْضِ وَأَنَّهَا تُلَقِّحُ الشَّجَرَ ذِي الثَّمَرَةِ بِأَنْ تَنْقُلَ إِلَى نَوْرِهِ غَبْرَةً دَقِيقَةً مِنْ نَوْرِ الشَّجَرِ الذَّكَرِ فَتَصْلُحُ ثَمَرَتُهُ أَوْ تَثْبُتُ، وَبِدُونِ ذَلِكَ لَا تَثْبُتُ أَوْ لَا تَصْلُحُ. وَهَذَا هُوَ الْإِبَّارُ.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان (١٧/ ٨٦)

(٢) لعل أول من أشار إلى هذا الفراء، حيث يقول: " إنَّما الريح مُلَقِحة تُلْقِح الشجر." معاني القرآن (٢/ ٨٧) ومن القائلين بهذا الإمام الرازي في تفسيره، حيث يقول: "أَصْلُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ: لَقِحَتِ النَّاقَةُ وَأَلْقَحَهَا الْفَحْلُ إِذَا أَلْقَى الْمَاءَ فِيهَا فَحَمَلَتْ، فَكَذَلِكَ الرِّيَاحُ جَارِيَةٌ مَجْرَى الْفَحْلِ لِلسَّحَابِ." تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩/ ١٣٤)

(٣) تفسير القرطبي (١٠/١٥-١٦)

(٤) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي (٥/ ٢٨٨)

وَبَعْضُهُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِتَعْلِيقِ الطَّلْعِ الذَّكَرِ عَلَى الشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ. وَبَعْضُهُ يُكْتَفَى مِنْهُ بِغَرْسِ شَجَرَةٍ ذَكَرٍ فِي خِلَالِ شَجَرِ الثَّمَرِ.

وَمِنْ بَلَاغَةِ الْآيَةِ إِيرَادُ هَذَا الْوَصْفِ لِإِفَادَةِ كِلَا الْعَمَلَيْنِ اللَّذَيْنِ تَعْمَلُهُمَا الرِّيَاحُ، وَقَدْ فُسِّرَتِ الْآيَةُ بِهِمَا. وَاقْتَصَرَ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّهَا لَوَاقِحُ السَّحَابِ بِالْمَطَرِ.

وَرَوَى أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ[1] عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) فَلِقَاحُ الْقَمْحِ عِنْدِي أَنْ يُحَبِّبَ وَيُسَنْبِلَ، وَلَا أُرِيدُ مَا يَيْبَسُ فِي أَكْمَامِهِ، وَلَكِنْ يُحَبَّبُ حَتَّى يَكُونَ لَوْ يَبِسَ حِينَئِذٍ لَمْ يَكُنْ فَسَادًا لَا خَيْرَ فِيهِ. وَلِقَاحُ الشَّجَرِ كُلِّهَا أَنْ تُثْمِرَ ثُمَّ يَسْقُطُ مِنْهَا مَا يَسْقُطُ وَيَثْبُتُ مَا يَثْبُتُ."[2]

"فالرياح لواقح باعتبارها حاملة أسباب اللقاح."[3]

"وتلقيح الزروع لكي تثمر بعض أزهارها قرَّره القرآن قبل أن ينكشف في علوم الأحياء منذ خمسة عشر قرنًا، ويحدثنا عن التلقيح عن طريق الرياح، واحتكاك الزهور بعضها ببعض، لتكون الثمرة ناضجة على أتم وجه، يقول تعالى: (وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ

(١) في أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ١٠٠) "قَالَ مَالِكٌ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) فَلِقَاحُ الْقَمْحِ عِنْدِي أَنْ يُحَبِّبَ وَيُسَنْبِلَ، وَلَا أَدْرِي مَا يَيْبَسُ فِي أَكْمَامِهِ، وَلَكِنْ يُحَبَّبُ حَتَّى يَكُونَ لَوْ يَبِسَ حِينَئِذٍ لَمْ يَكُنْ فَسَادًا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلِقَاحُ الشَّجَرِ كُلِّهَا أَنْ يُثْمِرَ الشَّجَرُ وَيَسْقُطَ مِنْهُ مَا يَسْقُطُ، وَيَثْبُتَ مَا يَثْبُتُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَنْ تَوَرَّدَ الشَّجَرُ."

(٢) التحرير والتنوير (١٤/ ٣٧)

(٣) زهرة التفاسير (٨/ ٤٠٨٠)

مَعْلُومٍ، وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) [الحجر: ١٩-٢٢]."[١]

وفي ضوء ما أثبته العلم الحديث عن وظيفة الرياح وأهميتها لجميع الزروع تظل الإبل مصدرا لهذه الصورة، لأن أصلُ اللَّقاح لِلْإِبِلِ، وقد سبق بيان ذلك من كتب اللغة وغيرها.

المبحث الثاني

التصوير بالنوق العشار

من أطوار حمل الإبل التي جاءت مصدرا من مصادر التصوير في القرآن الكريم النوق العشار، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرةُ أشهر، جاء ذلك في قوله -تعالى- عند تصوير أهوال يوم القيامة: (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) [التكوير : ٤]

"والعشار: لُقُح الإبل، عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم."[٢]

"والْعِشَارُ من الإبل: الحواملُ. واحدتها: عُشَرَاءُ؛ وهي: التي أتى عليها في الحمل عشرةُ أشهر؛ ثم لا يزال ذلك اسمَها حتى تَضَعَ وبعد ما تضعُ."[٣]

"والعِشَار في جمع عُشَرَاءُ كالنِّفَاس في جمع نُفَسَاء."[٤] "ولا نظير لهما."[٥]

"وناقة عُشَرَاءُ: مرّت من حملها عَشَرَةُ أشهرٍ، وجمعها عِشَارٌ."[٦]

---

(١) التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية (ص: ٢٧٩) د. علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠١م.

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٣٩)

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٥١٦)

(٤) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٠٧)

(٥) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي (٨/ ٣٢٥)

(٦) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٦٧)

"قال المفسرون وأهل اللغة: النوق الحوامل، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر فقيل لها: العشار لذلك، وذلك الوقت أَحْسَنُ زَمَانِ حَمْلِها، وهي تضع إذا وَضَعَتْ لتمامٍ في سنة، فهي أنفس ما للعرب عندهم، فلا يعطلونها إلا لإتيان ما يَشْغَلهم عنها، وإنما خوطبت العرب بأمر العشار، لأن أكثر عيشهم ومالهم من الإبل."(١)

"والنوق العشار كانت من أثمن الأموال عند العرب، وكانوا يحافظون عليها حتى في أشد حالات الخوف."(٢)

"وتَهَمُّهم بها عظيم للرغبة في نسلها."(٣)

"وَلَيْسَ يُعَطِّلُهَا أَهْلُهَا إِلَّا حَالَ الْقِيَامَةِ. وَهَذَا عَلَى وَجْهِ الْمَثَلِ، لِأَنَّ فِي الْقِيَامَةِ لَا تَكُونُ نَاقَةٌ عُشَرَاءَ، وَلَكِنْ أَرَادَ بِهِ الْمَثَلَ، أن هول يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِحَالٍ لَوْ كَانَ لِلرَّجُلِ نَاقَةٌ عُشَرَاءُ لَعَطَّلَهَا وَاشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ، وَشَاهَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَرَأَوُا الْوُحُوشَ وَالدَّوَابَّ مَحْشُورَةً، وَفِيهَا عِشَارُهُمُ الَّتِي كَانَتْ أَنْفَسَ أَمْوَالِهِمْ، لَمْ يَعْبَئُوا بِهَا، وَلَمْ يَهُمُّهُمْ أَمْرُهَا."(٤)

"ونقول: إن هذا وإن كشف عن حال الشدة والكرب فى هذا الوقت، فإنه لا يمنع من أن تكون هناك العشار، وأن يكون تعطيلها عن الحمل، فهذا خبر جاء به القرآن، ولا بد أن يقع على ما جاء به."(٥)

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٠٦)

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٢٩٧)

(٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٤١)

(٤) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٢٨-٢٢٩)

(٥) التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٤٦٨)

"ومعنى (عُطِّلت) سُيِّبَتْ وأُهْمِلَتْ، لإشتغالهم عنها بأهوال القيامة.."[١]

"تُرِكَتْ هَمَلًا بِلَا رَاعٍ، وَذَلِكَ لِمَا شَاهَدُوا مِنَ الْهَوْلِ الْعَظِيمِ." [٢]

"وقيل: عطلها أهلها عن الحلب والصر، لاشتغالهم بأنفسهم."[٣]

وقيل: "إِنَّ الْعِشَارَ كِنَايَةٌ عَنِ السَّحَابِ تَعَطَّلَتْ عَمَّا فِيهَا مِنَ الْمَاءِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مَجَازًا إِلَّا أَنَّهُ أَشْبَهُ بِسَائِرِ مَا قَبْلَهُ،[٤] وَأَيْضًا فَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ السَّحَابَ بِالْحَامِلِ، قَالَ تَعَالَى: (فَالْحامِلاتِ وِقْراً) [الذَّارِيَاتِ: ٢]."[٥]

"فهو استعارة بتشبيه السحابة المتوقع مطرها بالناقة العشراء القريب وضع حملها، وهي استعارة لطيفة، مع المناسبة التامّة بينه وبين ما قبله، فإن السحب تنعقد على رؤوس الجبال[٦] وتُرى عندها ... وتعطيلها على هذا مجاز -أيضاً- بمعنى عدم ارتقاب مطرها لأنهم في شغل عنه."[٧]

"وَهَذَا غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الِاسْتِعْمَالِ، فَهُمْ يُطْلِقُونَ مِثْلَ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ لِلسَّحَابِ، كَمَا أَطْلَقُوا عَلَى السَّحَابَةِ اسْمَ بِكْرٍ فِي قَوْلِ عَنْتَرَةَ:

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ ∴ فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدِّرْهَمِ[٨]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٠٦)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٧٠)

(٣) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٠٧)

(٤) يعني: من الآيات التي قبل هذه الآية في السورة.

(٥) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ٦٤)

(٦) لأن الآية التي قبلها: (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) [التكوير : ٣]

(٧) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي (٨/ ٣٢٥-٣٢٦)

(٨) قرارة: حفرة، والبيت من الكامل ، وهو في ديوان عنترة بن شداد (ص: ١٣) تحقيق: حَمْدُو حَمْدُو طَمَّاس، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

فَأَطْلَقَ عَلَى السَّحَابَةِ الْكَثِيرَةِ الْمَاءِ اسْمَ الْبِكْرِ الْحُرَّةِ، أَيِ الْأَصِيلَةِ مِنَ النُّوقِ وَهِيَ فِي حَمْلِهَا الْأَوَّلِ.

وَمَعْنَى تَعْطِيلِ الْأَسْحِبَةِ أَنْ يَعْرِضَ لَهَا مَا يَحْبِسُ مَطَرَهَا عَنِ النُّزُولِ، أَوْ مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَسْحِبَةَ الثِّقَالَ لَا تَتَجَمَّعُ وَلَا تَحْمِلُ مَاءً، فَمَعْنَى تَعْطِيلِهَا تَكَوُّنُهَا، فَيَتَوَالَى الْقَحْطُ عَلَى الْأَرْضِ فَيَهْلِكُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ."[1]

"وهذا تصوير بديع لما يصيب الناس من أهوال، تجعلهم لا يلتفتون إلى أعز أموالهم لديهم."[2]

"وَالْكَلَامُ كِنَايَةٌ عَنْ تَرْكِ النَّاسِ أَعْمَالَهُمْ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ."[3]

وقد قامت هذه الكناية على التلازم بين النوق العشار وقيام أصحابها على حسن رعايتهم لها، وزيادة عنايتهم بها، ودوام تفقدهم لها، وإدراك هذا التلازم يظهر مدى هول هذا اليوم الذي تعطَّل فيه تلك النوق العِشار.

المبحث الثالث

التصوير بفواق الناقة

يسمي العرب الوقت بين حلبتي الناقة فواق الناقة، وقد جاء فواق الناقة مصدرا للتصوير في القرآن الكريم، وذلك في قوله -تعالى-: (وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاء إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ) [ص : ١٥] .

"وَاخْتلفُوا فى ضم الْفَاء وَفتحهَا من قَوْله: (مَا لَهَا من فوَاق) فَقَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر وَعَاصِم (من فَوَاق) بِفَتْح الْفَاء، وَقَرَأَ حَمْزَة

(١) التحرير والتنوير (١٤٢/٣٠- ١٤٣)

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٢٩٧)

(٣) التحرير والتنوير (١٤٢/٣٠)

والكسائي (من فُوَاق) بِضَم الْفَاء."[١]

"فقيل: هما لغتان بمعنى واحد. وقيل: من ضمّ أراد: قدر ما بين الحلبتين للناقة. ومن فتح أراد: مِن راحة."[٢]

"وَجُمْهُورُ أَهْلِ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الْفَتْحَ وَالضَّمَّ فِيهِ سَوَاءٌ."[٣]

ومن أقوالهم في ذلك ما يلي:

"فُوَاق الناقة وفَوَاقها، وهو ما بين الحَلْبَتَين، يقال: لا تنتظرهُ فَوَاق ناقة وفُوَاق ناقة، وقرأت القراءُ: (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) و (فُوَاق)."[٤]

"الفُواقُ: لغةٌ في الفَواقِ."[٥]

"وأمّا الفُوَاق بَين الحَلْبتين وَهُوَ السُّكون فغيرُ مَهْمُوز، وَيجوز فِيهِ الْفَتْح."[٦]

"وفواق النَّاقة، وفواقها: رُجُوع اللَّبن فِي ضرْعهَا، يُقَال: لَا تنتظره فواق نَاقَة. وَأقَام فوَاق نَاقَة، جعلوها ظرفا على السعَة. وفواق النَّاقة، وفواقها: مَا بَين الحلبتين إِذا فتحت يدك.

---

(١) السبعة في القراءات (ص: ٥٥٢)

(٢) الحجة في القراءات السبع (ص: ٣٠٤) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ) تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١ هـ.

(٣) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٢٤)

(٤) إصلاح المنطق (ص: ٨٥) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت (٢٤٤هـ) تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.

(٥) معجم ديوان الأدب (٣/ ٣٧٢) أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (٣٥٠هـ) تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٦) تهذيب اللغة (٩/ ٢٥٤)، لسان العرب (١٠/ ٣١٧)

وَقيل: إذا قبض الحالب على الضَّرع ثمَّ ارسله عِنْد الْحَلب."[١]

"الفُواق: رجوع اللبن في الضرع بعد الحلب، لغةٌ في الفَواق. يقال: ما أقام عنده إلا فُواقَ ناقة."[٢]

وفرق بعضهم بين المعنيين في حالتي الفتح والضم.

"من فتحها قال: ما لها من راجة، ومن ضمّها قال: فُواق، وجعلها من فواق ناقة ما بين الحلبتين."[٣]

وذهب المفسرون في ذلك مذهب اللغويين، ومن أقوالهم في ذلك ما يلي.

"واختلفت أهل العربية في معناها إذا قُرئت بفتح الفاء وضمها، فقال بعض البصريين منهم: معناها، إذا فتحت الفاء: ما لها من راحة، وإذا ضمت جعلها فُواق ناقة ما بين الحلبتين. وكان بعض الكوفيين منهم يقول: معنى الفتح والضم فيها واحد، وإنما هما لغتان مثل السَّوَاف والسُّواف،[٤] وجَمام المكوك وجُمامه [٥] وقَصاص الشعر وقُصاصه.

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٥٨٢)

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٨/ ٥٢٧٧)

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٧٩)

(٤) السَّواف: مرض يقع في الإبل. الجيم (٢/ ١١٢) أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء بالولاء (٢٠٦هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤ م.

(٥) "المكوك: بفتح فسكون ج مكاكيك، مكيال سعته صاع ونصف." معجم لغة الفقهاء (ص: ٤٥٦) محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م. "وأعطيته جَمام المكوك وجُمامه، إذا قَارب أَن يمتلئ." جمهرة اللغة (١/ ٤٩٦) .

والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان، وذلك أنا لم نجد أحدا من المتقدمين على اختلافهم في قراءته يفرّقون بين معنى الضمّ فيه والفتح، ولو كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم، لقد كانوا فرقوا بين ذلك في المعنى."[١]

"فإذ كان ذلك كذلك، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب؛ وأصل ذلك من قولهم: أفاقت الناقة، فهي تفيق إفاقة، وذلك إذا ردت ما بين الرضعتين ولدها إلى الرضعة الأخرى، وذلك أن ترضع البهيمة أمها، ثم تتركها حتى ينزل شيء من اللبن، فتلك الإفاقة؛ يقال إذا اجتمع ذلك في الضرع فيقة."[٢]

"والفواق: الزمن الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع، ويقال للبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين فيقة، ويجمع على أفواق، وأفاويق جمع الجمع، والكلام على تقدير مضافين، أي: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة مالها من توقف مقدار فواق، أو على ذكر الملزوم الذي هو الفواق وإرادة اللازم الذي هو التوقف مقداره، وهو مجاز مشهور، والمعنى: أن الصيحة إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان.

وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة تفسيره بالرجوع والترداد، وهو مجاز أطلق فيه الملزوم وأريد اللازم فإن في الزمان بين الحلبتين يرجع اللبن إلى الضرع، والمعنى: أنها صيحة واحدة فحسب، لا تثنى ولا تردد، فالجملة[٣] عليه صفة مؤكدة لوحدة الصيحة.

وقرأ السلمي وابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وطلحة بضم الفاء فقيل هما بمعنى واحد، وهو ما تقدم، كقَصاص الشعر وقُصاصه، وقيل: المفتوح اسم

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان (٢١/ ١٦٢)

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (٢١/ ١٦٣)

(٣) يعني جملة: (مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ)

مصدر من أفاق المريض إفاقة وفاقة، إذا رجع إلى الصحة، وإليه يرجع تفسير ابن زيد والسدي وأبي عبيدة والفراء له بالإفاقة والاستراحة، والمضموم اسم ساعة رجوع اللبن للضرع."[1]

"وَالْفَوَاقُ (بِفَتْحِ الْفَاءِ وَضَمِّهَا): اسْمٌ لِمَا بَيْنَ حَلْبَتَيْ حَالِبِ النَّاقَةِ وَرَضْعَتَيْ فَصِيلِهَا، فَإِنَّ الْحَالِبَ يَحْلِبُ النَّاقَةَ ثُمَّ يَتْرُكُهَا سَاعَةً لِيَرْضَعَهَا فَصِيلُهَا لِيَدِرَّ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَحْلِبُونَهَا، فَالْمُدَّةُ الَّتِي بَيْنَ الْحَلْبَتَيْنِ تُسَمَّى فَوَاقًا. وَهِيَ سَاعَةٌ قَلِيلَةٌ، وَهُمْ قَبْلَ ابْتِدَاءِ الْحَلْبِ يَتْرُكُونَ الْفَصِيلَ يَرْضَعُهَا لِتَدِرَّ بِاللَّبَنِ. وَجُمْهُورُ أَهْلِ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الْفَتْحَ وَالضَّمَّ فِيهِ سَوَاءٌ، وَذَهَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ[2] وَالْفَرَّاءُ[3] إِلَى أَنَّ بَيْنَ الْمَفْتُوحِ وَالْمَضْمُومِ فَرْقًا فَقَالَا: الْمَفْتُوحُ بِمَعْنَى الرَّاحَةِ مِثْلَ الْجَوَابِ مِنَ الْإِجَابَةِ،[4] وَالْمَضْمُومُ اسْمٌ لِلْمُدَّةِ. وَاللَّبَنُ الْمُجْتَمِعُ فِي تِلْكَ الْحِصَّةِ يُسَمَّى: الْفُيْقَةَ بِكَسْرِ الْفَاءِ، وَجَمْعُهَا أَفَاوِيقُ.

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (١٢/ ١٦٤-١٦٥)

(٢) أبو عبيدة عرض الرأيين، وبدأ بالرأي القائل بالتفريق بينهما، وهذا نص كلامه: "(ما لَها مِنْ فَواقٍ) من فتحها قال: ما لها من راجة، ومن ضمّها قال: فُواق، وجعلها من فواق ناقة ما بين الحلبتين، وقوم قالوا: هما واحد بمنزلة جَمام المكول وجُمام المكّول وقَصاص الشّعر وقُصاص الشّعر." مجاز القرآن (٢/ ١٧٩)

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٠).

(٤) أشار إلى هذا ابن عطية (٥٤٢هـ) في تفسيره حيث قال: " فـ (فواق) : مثل جواب من إجابة." تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٩٦)، وذكره – أيضا– أبو القاسم نجم الدين النيسابوري (٥٥٠هـ) فقال: "والفواق –بالضم– مصدر كالإفاقة، مثل الجواب والإجابة." إيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٧٠٧) أبو القاسم نجم الدين محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري (٥٥٠هـ) تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ.

وَمَعْنَى (مَا لَهَا مِنْ فَواقٍ) لَيْسَ بَعْدَهَا إِمْهَالٌ بِقَدْرِ الْفَوَاقِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ . فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) [يس: ٤٩،٥٠]."[١]

"وأصل الفواق أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن ثم تحلب فما بين الحلبتين فواق، فاستعير الفواق في موضع الانتظار."[٢]

"أي: وما ينتظر هؤلاء المشركون الذين هم أمثال المهلكين من قبلهم إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً، أي: نفخة واحدة ينفخها إسرافيل، فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ، وهذه النفخة ما لَها مِنْ فَواقٍ، أي: ليس لها من توقف وانتظار حتى ولو بمقدار فواق ناقة، وهو الزمن الذي يكون بين الحلبتين، أو الزمن الذي يكون فيه رجوع اللبن في الضرع بعد الحلب.

والمقصود بيان أن هذه الصيحة سريعة الوقوع، وأنها لن تتأخر عن وقتها، وأنها صيحة واحدة فقط، يتم بعدها كل شيء يتعلق بالبعث والجزاء."[٣]

تبين من خلال تلك الرحلة المباركة في فصول هذا البحث أن التصوير بالإبل وهيئاتها وأحوالها مصدر من مصادر التصوير في القرآن الكريم، إذ جاء التصوير بجسم الجمل منفردا وبأجسام الجمال مجتمعة، وجاء بهيئة الناقة الدكاء، وهيئة قموح الإبل، وهيئة الفاقرة التي تعمل في أنف البعير، وهيئة الناقة إذا اقمَطَرتْ،

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٢٤)

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٩٧) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٢/ ١٤٠)

وجاء التصوير بإيضاع الإبل في سيرها وإهطاعها وحسرها، وبداء الحَبَط وداء الجَرَب وداء الصَّعَر وداء الهُيام، وباللواقح والعشار، وبفواق الناقة.

ولعل هذا البحث من خلال تضافر فصوله وتآزر مباحثه يكون قد أماط اللثام وكشف النقاب عن ملامح التصوير بالإبل وهيئاتها وأحوالها في القرآن الكريم.

خاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتُقال العثرات، وتُرفع الدرجات، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد من جاء بالبينات، فأخرج من الظلمات، وعلى آله السادة، وأصحابه القادة، وجميع من نطق له بالشهادة.

وبعد ،،،

تعددت وتنوعت الصور التي اتخذت من الإبل وهيئاتها وأحوالها مصدرا لها، وقد عكف هذا البحث على جمع هذه الصور قدر الاستطاعة استكشافا لملامح الجمال في تلك الصور، وتعرُّفا على هذا المصدر من مصادر الصورة في القرآن الكريم.

وقد جاء جسم الجمل بضخامته المعهودة مصدرا للتصوير في القرآن الكريم، وقد كان التصوير تارة بجسم الجمل منفردا وتارة بأجسام الجمال مجتمعة.

واتضح من هذا كيف أعان منظر الجمل بجسمه الضخم على تصوِّر استحالة دخول الجنة على المكذبين بالآيات والمستكبرين عنها من خلال تمثُّل استحالة دخول الجمل ذلك الحيوان الذي اشتهرت ضخامته في ثقب الإبرة الذي اشتهر ضيقه.

واتضح كيف أعانت الجمالات الصفر على تصوِّر مدى فظاعة نار جهنم، إذ صُوِّر الشرر المتطاير منها –وهو أصغر ما يكون فيها– بالجمال الصفراء المتفرقة المتناثرة في كل مكان.

تعددت هيئات الإبل التي اتخذ القرآن الكريم منها مصدرا للتصوير، ومن هذه الهيئات هيئة الناقة الدكاء، وهي التي لا سنام لها، إذ أن سنامها مستو مع ظهرها،

وسواء أكان المشبه به –في الآيات المستشهد بها هناك– جبل التجلى أم سد يأجوج ومأجوج فإن التشبيه بالناقة الدكاء جعل الصورة في كل منهما أكثر وضوحا وأشد قربا، وكأنها رأي العين.

وتم التصوير بهيئة قموح الإبل، وهي رفع رأسها إلى ظهرها امتناعا عن الشرب بسبب ارتوائها أو لعدم استطاعة شرب الماء لبرودته، وقد عمق التصوير بهيئة قموح الإبل إحساس الكافرين وغيرهم بما عليه هؤلاء الكافرون من فظاعة الإباء عن الحق وبشاعة الاستكبار على الهدى وشناعة الصدود عن الإيمان، وذلك لرؤيتهم لإبلهم في هذه الهيئة مرات ومرات.

وتم التصوير بهيئة الفاقرة التي تعمل في أنف البعير، على الرغم من كون الفاقرة لها معنى آخر وهو الداهية العظيمة التي تكسر فقار الظهر إلا أن معنى الفاقرة التي تعمل في أنف البعير أقرب مناسبة إلى الصورة من غيره، واتضحت هنالك أسباب ذلك.

فتكون الفاقرة بهذا المعنى كناية عما تظن وجوه الكافرين أنه سيحيق بها من العذاب.

وتم تصوير يوم القيامة بهيئة الناقة إذا اقمَطَرتْ، ويراد بذلك هيئتها إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورفعت رأسها لألم بها، مما يزيد من إحساس المتلقي ببشاعة هيئة هذا اليوم، وينمي شعوره بكراهة منظره، لعل هذا الإحساس وذلك الشعور يدعوه إلى الخوف منه والعمل له.

وقد تبين من خلال كل هذه النماذج المتعددة المتنوعة كيف أعان التصوير بضخامة أجسام الإبل وهيئاتها المتنوعة على وصول تلك الصور إلى غاياتها وبلوغها بذلك نهاياتها.

وقد اتخذ القرآن الكريم من أحوال الإبل في سيرها مصدرا للتصوير في عدة صور، ومن هذه الأحوال الإيضاع وهو حمل البعير على الإسراع.

ومن أحوال سير الإبل التي جاءت مصدرا للتصوير الإهطاع، وهو إسراع البعير في سيره مع تصويب في عنقه، وقد جاء الإهطاع مصدرا للتصوير في عدة صور، وتبين أن هذه الصور قد بنيت على استعارة الإهطاع من الإبل لأولئك الذين تحدثت عنهم الآيات في سياقاتها المتعددة.

ومن أحوال سير الإبل التي جاءت مصدرا للتصوير في القرآن الكريم حالة الحسْر، وهي شدة إعياء البعير من طول سيره، وقد تعددت الصور التي اتخذت من هذه الحالة مصدرا لها.

وتبين كيف ساعدت أحوال سير الإبل التي تم التصوير بها في شحذ إحساس المتلقي وتنمية شعوره بما سيقت له كل صورة من تلك الصورة.

وقد اتخذ القرآن الكريم من بعض أمراض الإبل مصدرا للتصوير في عدة صور.

من هذه الأمراض الحَبَط، وهو داء تصاب به الإبل في بطونها عند كثرة الأكل أو عند الأكل من نباتات بعينها، تنتفخ معه بطونها انتفاخا عظيما ربما يهلكها.

ومن هذه الأمراض الجَرَب، وهو داء معد يصيب جلد البعير، فتعزل الإبل الجربى بسببه عن الإبل الصحاح، وتطلى بالقطران لتشفى، والجرب لم يأت ذكره صريحا، وإنما جاء ذكر القطران، فاستلزم ذكره داء الجرب عند الإبل.

ومن هذه الأمراض الصَّعَر، وهو داء يصيب الإبل فتلتوي منه أعناقها.

ومن هذه الأمراض الهُيام، وهو داء يصيب الإبل يحعلها لا ترتوي من الماء مهما شريت.

واتضح أن من سيقت هذه الأمراض لتصويرهم فيهم اعوجاج وميل عن الحق والصواب، مهما تنوعت أوصافهم أو تغيرت طبائعهم، ولعل تصويرهم بهذه الأمراض إنما جاء ليلفت الأنظار إلى الأمراض المعنوية التي أصيب بها أولئك الذين سيقت هذه الأمراض لتصويرهم.

وقد اتخذ القرآن الكريم من بعض أطوار حمل الإبل وعادات حلبها مصدرا من مصادر التصوير فيه.

تم تصوير الرياح بالإبل اللواقح، وهي جمع لاقح، وهي الحامل التي تيين حملها، وقيل: جمع لقوح، وهى ناقة ذات لبن، وقيل: من ألقح الفحل الناقة إذا ألقى ماءه قيها لتحمل.

وتبين أنه على الرغم مما أثبته العلم الحديث عن وظيفة الرياح وأهميتها لجميع الزروع إلا أن هذا لم ينفِ كون الإبل مصدرا لهذه الصورة، لأن أصلُ اللَّقاح لِلْإِبِلِ، وقد تم بيان ذلك من كتب اللغة وغيرها.

وتم التصوير بالنوق العِشار، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرةُ أشهر.

وقامت الكناية في هذه الصورة على التلازم بين النوق العشار وقيام أصحابها على حسن رعايتهم لها، وزيادة عنايتهم بها، ودوام تفقدهم لها، وإدراك هذا التلازم يظهر مدى هول هذا اليوم الذي تعطَّل فيه تلك النوق العِشار.

وتم التصوير بفواق الناقة، وهو ما بين الحلبتين.، وتبين أن فواق الناقة مصدر أصيل في الصورة هناك.

وقد تبين من كل ذلك تعدد الموضوعات وتنوع المجالات التي جاءت الإبل وهيئاتها وأحوالها مصدرا لتصويرها، وكان التصوير بالإبل وهيئاتها وأحوالها من أدلة حضور البيئة العربية في تصوير القرآن الكريم، لأن الإبل كيان أصيل في هذه البيئة، وظهرت عناية القرآن الكريم بالمتلقي من خلال تقريب المعاني له بتصويرها بما هو مشهود له ومعهود، دعوة لانفعاله بهذا الكلام، حتى ينال ما فيه من خير العمل به، ويتقي شر مخالفته والبعد عنه.

أرجو أن أكون قد وُفِّقتُ في بيان معالم التصوير بالإبل وهيئاتها وأحوالها في القرآن الكريم، وإلا فعذري أنني حاولت، أسأل الله حسن القبول وسلامة الوصول إلى غاية المأمول.

مراجع ومصادر البحث

١- أحكام القرآن، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

٣- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٤- إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت (٢٤٤هـ) تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.

٥- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين أحمد مصطفى درويش (١٤٠٣هـ) دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

٦- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة١٤٢٠ هـ.

٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (١٢٢٤هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٨- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م.

٩- التسهيل لعلوم التنزيل = تفسير ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ.

١٠- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، دعلي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠١م.

١١-

١٢- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (٤٦٨هـ) عمادة البحث العلمي – جامعة محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.

١٣- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة ١٣٨٣ هـ.

١٤- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (١٤٢٩هـ) دار الفكر العربي – القاهرة، بدون تاريخ.

١٥- التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، ١٤١٢ هـ.

١٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ.

١٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى،(١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

١٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (١٤٣١هـ) دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨/٩٩٧م.

١٩- التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (١٣٩٨هـ) مكتبة وهبة، القاهرة.

٢٠- التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٢١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٢- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٢٣- الجيم، أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء (٢٠٦هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م.

٢٤- الحجة في القراءات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ) تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١ هـ.

٢٥- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

٢٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ) تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٢٧- السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي المعروف بابن مجاهد (٣٢٤هـ) تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

٢٨- الشوقيات، أحمد شوقي (١٩٣٢م) مطابع دار الكتاب العربي – بيروت، توزيع المكتبة التجارية الكبرى – مصر، بدون تاريخ.

٢٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٣٠- الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ) تحقيق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٣١- العقد الفريد، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه (٣٢٨هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٣٢- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. بدون تاريخ.

٣٣- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر. بدون تاريخ.

٣٤- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، مؤسسة آل البيت – المجمع الملكي – عمان، ١٩٨٩م.

٣٥- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، المعروف بالشيخ علوان (٩٢٠هـ) دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

٣٦- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٧- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر بن سالم بازمول، نسخة مصورة عن مخطوطة (دكتوراه) بكلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤١٢/١٤١٣هـ.

٣٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل = تفسير الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٣٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٤٠- الكنز اللغوي في اللَسَن العربي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت (٢٤٤هـ) تحقيق: أوغست هفنر، مكتبة المتنبي – القاهرة، بدون تاريخ.

٤١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز = تفسير ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

٤٢- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

٤٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. بدون تاريخ.

٤٤- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم،الدار الشامية (دمشق – بيروت) الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ.

٤٥- الموسوعة القرآنية (خصائص السور)، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ.

٤٦- الميسر في شرح مصابيح السنة، أبو عبد الله شهاب الدين فضل الله ابن حسن بن حسين بن يوسف التُّورِبِشْتِي (٦٦١ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ.

٤٧- النكت والعيون = تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ) تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٩- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي (٤٣٧هـ)، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

٥٠- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن علي الواحدي (٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

٥١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.

٥٢- إيجاز البيان عن معاني القرآن، أبو القاسم نجم الدين محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري (٥٥٠هـ) تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ.

٥٣- بحر العلوم = تفسير السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٥هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ على محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور زكريا عبد المجيد النوبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٥٤- بدائع البدائه، جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، (٦١٣هـ) ضبطه وصححه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٥٥- بيان المعاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥م.

٥٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ.

٥٧- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٥٨- تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٥٩- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد = التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

٦٠- تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (١٣٥٩هـ) علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٦١- تفسير ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي (٨٠٣هـ) تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

٦٢- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى.

٦٣- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٦٤- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

٦٥- تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة (٢٠٠هـ) تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٦٦- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٦٧- جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٦٨- جمهرة الأمثال (٢/ ٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (٣٩٥هـ) دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

٦٩- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٧٠- حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي المسماة: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٥ م.

٧١- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) دار صادر – بيروت.

٧٢- حاشية الطيبي على الكشاف المسماة: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) تحقيق: د. يوسف عبد الله الجوارنة، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم – دبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م.

٧٣- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

٧٤- خواطري حول القرآن الكريم = تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ) مطابع أخبار اليوم، ١٩٩١ م.

٧٥- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس تحقيق: د. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، بدون تاريخ.

٧٦- ديوان الحارث بن عباد، جمعه وحققه: أنس عبد الهادي أبو هلال، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

٧٧- ديوان الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة الدارمي، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٧٨- ديوان المتلمس الضبعي، المتلمس الضبعي (٤٣ ق . هـ) تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية – القاهرة، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

٧٩- ديوان حسان بن ثابت، حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجى الأنصاري (٥٤ هـ) تحقيق: عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٨٠- ديوان ذي الرمة، غيلان بن عقبة بن مسعود التميمي المعروف بذي الرمة (١١٧هـ) تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥م.

٨١- ديوان عروة بن حزام، عروة بن حزام بن مهاجر العذري (٣٠ هـ) تحقيق: أنطوان محسن القوَّال، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م.

٨٢- ديوان عنترة بن شداد، تحقيق: حَمْدُو طَمَّاس، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٨٣- ديوان قيس بن الملوح، قيس بن الملوح الملقب بمجنون لبلى (٦٨ هـ) تحقيق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٨٤- روح البيان، المولى أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (١١٢٧هـ) دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

٨٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعةالأولى، ١٤١٥ هـ

٨٦- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٨٧- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي. ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٨٨- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

٨٩- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٩٠- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٩١- شرح طيبة النشر في القراءات (ص: ٣٢٥) شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (٨٣٣هـ) ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٩٢- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (٥٧٣هـ) تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٩٣- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٩٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦ هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.

٩٥- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني (٨٩٣هـ) (من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس) دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا – كلية العلوم الاجتماعية – تركيا،١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٩٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان = تفسير النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٨٥٠هـ) تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ.

٩٧- غريب الحديث لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

٩٨- غريب الحديث للقاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (٢٢٤هـ) تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

٩٩- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، أبو بكر محمد بن عُزير السجستاني (٣٣٠هـ) تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة – سوريا، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

١٠٠- غريب القرآن لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.

١٠١- فتح الباب في الكنى والألقاب، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (٣٩٥هـ) تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١٠٢- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

١٠٣- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

١٠٤- كتاب الأفعال، أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري، المعروف بابن الحداد (بعد ٤٠٠ هـ) تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

١٠٥- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري (٧١١هـ) دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ.

١٠٦- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (٢٠٩هـ) تحيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، ١٣٨١ هـ.

١٠٧- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (٩٨٦هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

١٠٨- مجمل اللغة لابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

١٠٩- محاسن التأويل = تفسير القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

١١٠- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١١١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١١٢- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (٣٥٤هـ) حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة الأولى١٤١١هـ–١٩٩١ م.

١١٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

١١٤- معانى القرآن للأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي المعروف بالأخفش الأوسط (٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

١١٥- معاني القرآن للفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

١١٦- معاني القرآن للنحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (٣٣٨هـ) تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١١٧- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١١٨- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١١٩- معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤ هـ) بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف . كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١٢٠- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (٣٥٠هـ) تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٢١- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٢٢- مفاتيح الغيب = تفسير الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

١٢٣- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٢٤- من روائع القرآن (تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل) محّمد سَعيد رَمضان البوطي، موسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

١٢٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

١٢٦- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

١٢٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

فهرس الموضـوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٩٣٠
الفصل الأول: التصوير بأجسام الإبل وهيئاتها في القرآن الكريم	١٩٣٤
المبحث الأول : التصوير بأجسام الإبل	١٩٣٤
١- التصوير بجسم الجمل منفردا	١٩٣٤
٢- التصوير بأجسام الجمال مجتمعة	١٩٣٩
المبحث الثاني : التصوير بهيئات الإبل	١٩٤٤
١- التصوير بهيئة الناقة الدكاء	١٩٤٥
٢- التصوير بهيئة قموح الإبل	١٩٤٨
٣- التصوير بهيئة الفاقرة التي تعمل في أنف البعير	١٩٥٠
٤- التصوير بهيئة الناقة إذا اقمَطَرتْ	١٩٥٤
الفصل الثاني: التصوير بأحوال سير الإبل في القرآن الكريم	١٩٥٧
المبحث الأول : التصوير بإيضاع الإبل	١٩٥٧
المبحث الثاني : التصوير بإهطاع الإبل	١٩٦١
المبحث الثالث : التصوير بحسْر الإبل	١٩٦٤
الفصل الثالث: التصوير بأمراض الإبل في القرآن الكريم	١٩٧٦
المبحث الأول : التصوير بداء الحَبَط	١٩٧٧
المبحث الثاني : التصوير بداء الجرب	١٩٨١
المبحث الثالث : التصوير بداء الصَّعَر	١٩٨٧
المبحث الرابع : التصوير بداء الهُيام	١٩٩١

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع:التصوير بأطوار حمل الإبل وعادات حلبها في القرآن الكريم .	١٩٩٦
المبحث الأول : التصوير بالإبل اللواقح	١٩٩٦
المبحث الثاني : التصوير بالنوق العشار	٢٠٠١
المبحث الثالث : التصوير بفواق الناقة	٢٠٠٤
خاتمة .	٢٠١١
مراجع ومصادر البحث .	٢٠١٦
فهرس الموضوعات .	٢٠٣٧